مجلة

المنار

المجلد الثاني والعشرون

الجزء الثالث

إهداء من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تابعوا ...

الجديد و الحصري
NEW & EXCLUSIVE

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

غير عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « ومنارا » كمنار الطريق

مصر ٣٠ جمادى الاولى ١٣٣٩ـ١٩ الدلو (ش٢) سنة ١٢٩٩ه ش ٨ فبراير ١٩٢١

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

حقيقة التصوف ومكانه من الشرع

(س٣) من صاحب الامضاء

السلام عليكم ورحمة الله

الى فضيلة مولانا وراشدنا السيد رشيد رضا

وقع نظري على بعض الاعمال الدينية في بلدي المسمى بالسنبلاوين مما من

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أجله أرجو أن تعرفونا حقيقة التصوف وهل له قوانين ونواميس غير ما بينته الشريعة المحمدية . واذا كان هو ما جاءت به الحنيفة فما الحاجة اليه والقرآن والسنة بين يديه وان كان مخالفا فمن أقر المبتدئ فيه عليه ومن أين استنبط ذلك المخترع تلك الطرق التي توصل الى الله (كما يعبرون) ولعمري إن صح هذا كان لله طريقان طريق بينه على لسان رسوله الكريم في كتابه المبين وآخر قد هدى اليه بعض عباده المهتدين

وانما دعاني الى سؤالكم والاستنارة بمذاركم ما أخشاه من كسوف شمس شريعتنا في ذلك الافق (أفق الصوفية) فاني ارى من ينسبون اليه ويدعونه قد ولعوا بمقتضياته وشغفوا بها حتى أنستهم الاذكار والاوراد التي يتفنون بها في الساحات والانحاء ومبالغاتهم في الشهوخ والاولياء انسام ذلك أساس الدين وكبد الشريعة (التوحيد) وهذا طبق ما أراه غريزة في بعض النفوس من الشغف بالكماليات وربما سحبت ذيول النسيان على الواجبات فشا منها لاصحابها وانهم قاموا بما فرض عليهم وارتقوا الى أن وجب عليهم ما ندب اليه الدين، وزجا منها بهم الى زمرة المقربين الذين امتثلوا وأمضوا أوامر الدين

وان سبق لكم هذا فأرجو من فضيلتكم اعادته باختصار وذلك كما تعلمون لقرب عهدنا بالمنار لازالتم مصادر الرشد وأهل الفضل والوقار

حسين محمد حسين النجار

بمدرسة القضاء الشرعي

[المنار] التصوف مصدر تصوف الرجل - أي صار صوفيا أي أحد أفراد الطائفة المعروفة بالصوفية ، وأشهر الاقوال في المنسوب اليه أنه الصوف لانهم كانوا يلتزمون لبسه وقيل انه كلمة سوفا أو سوفي اليونانية ومعناها الحكمة وذهب الحافظ ابن الجوزي في كتابه تلبيس ابليس أنه نسبة الى صوفة وهو لقب الغوث بن مر بن أد ابن طابخة بن الياس بن مضر لانه قد اشتهر عند العرب أنه أول من انقطع الى الله تعالى لعبادته عند بيته الحرام ، وتسلسل ذلك في ولده فصار لقب صوفة يطلق على كل منهم وناطت العرب به وبهم من بعده اجازة الناس بالحج من عرفة ومنى وهي الافاضة منهما فكانت لا تفيض منهما حتى يفيض صوفة فاذا حانت الاجازة تقول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« أجبري صوفة » وكان سبب هذه التسمية ان أم الغوث كان لا يعيش لها ولد فنذرت لئن عاش لتلفن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة، ففعلت فقيل له ثم لولده من بعده صوفة - نقله عن السائب الكلبي

قال الحافظ المذكور: كانت النسبة في زمن رسول الله (ص) الى الاسلام والايمان فيقال مسلم ومؤمن ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا الى العبادة واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها - ثم ذكر نسبتهم التي لخصناها عنه آنفا. ثم قال في تاريخه ومبدأه: هذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مئتين، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الاخلاق الرذيلة وحمله على الاخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والاخلاص والصدق الى غير ذلك من الخلال الحسنة. ثم ذكر أن أوائلهم كانوا على ذلك حتى لبس عليهم الشيطان فكان أول تلبيسه ان صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما انطفأ مصباح العلم تخبطوا في الظلمات فمنهم من غلا في ترك الدنيا وهي قوام مصالح الخلق، ومنهم من أغرى بتعذيب النفس بالجوع والعرى والفقر الاختياري، ومنهم من غلبت عليهم الخيالات، حتى قالوا بالحلول والاتحاد، وكانوا يعنون بالنظافة والتنظم في الطهارة. وراجت عليهم قلة العلم الاحاديث الموضوعة. وذكر بعد هذا تصانيفهم وما فيها من الغلو في الدين والاحاديث الباطلة. ثم انتقل الى بيان ضروب التلبيس عليهم وما خالفوا فيه الشرع عن جهل أو تأول وأطال في ذلك. وكتابه هذا جدير بأن يطبع

ولشيخ الاسلام أحمد تقي الدين بن تيمية فتوى في الصوفية والفقراء نشرناها في ج ١٠ م ١٢ من المنار ثم طبعناها في رسالة على حدتها لتعميم نفعها. وقد ضعف فيها القول بنسبتهم الى صوفة لانها قبيلة كانت في الجاهلية ولا وجود لها في الاسلام رجح نسبتهم الى الصوف وقال ان لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة وانما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقال ان أول ظهورهم كان في البصرة لانه كان فيها من المبالغة في الزهد والعبادة والخوف ونحو ذلك مما لم يكن في سائر الامصار ولهذا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية . وذكر بعض أحوال الصوفية ووزنها بميزان الشرع وسيرة السلف الصالح كعادته فبين الراجح من الشائل فيها وان الناس فيهم بين ذام يرميهم بالابتداع والخروج عن السنة وبين غال يدعي انهم أفضل الخلق بعد الانبياء ، وان الصواب هو الوسط وهو انهم كغيرهم من الطوائف مجتهدون فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ، ولكن انتسب اليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ، ثم بين ان كلامه في صوفية الحقائق الاولين ، وأنه حدث بعدهم صنفان وهم صوفية الارزاق الذين يقيمون في الخوانك ويأكلون فيها ما وقف على الصوفية ، وصوفية الرسم الذين همهم تقليدهم في اللباس والآداب الوضعية ، ويسهل على السائل أن يراجع هذه الفتوى ويقرأها ، ويقرأ ما كتبه ابن خلدون في مقدمته ان لم يكن قرأه فان أكثره صواب

وانا قد ذكرنا في تاريخ الاستاذ الامام عين ماذكره هؤلاء المحققون في بيان حقيقة الصوفية وزدنا عليهم مسائل مهمة استنبطناها من كتبهم ومن كتب التاريخ أجملناها في ورقتين مثل أوراق المنار ملخصها ان الصوفية طائفة انقطعت الى الزهد في الدنيا والعمل للآخرة برياضة النفس وتربية الارادة والاخذ بالعزائم ومحاسبة النفس وحسن النية والمبالغة في العبادة . وغايتهم الوصول الى تجريد التوحيد وكمال المعرفة بالله تعالى . ثم ادعى جاهلهم من ليس منهم غشا وتلبيسا ، ولبس لباسهم من تناقض حاله جاهلهم دعوى وتقليدا — وان رياضة النفس وتزكيتها تثمر للصادق فيها علما وعرفانا بسنن الله في الارواح وأسرار قواها وأحوالا وأذواقا غريبة غير مألوفة ولا معروفة لغير أهلها (منها) التأثير بقوة الارادة في بعض أمور الكون كشفاء مريض وتنفير من الشر وجذب الى الخير ويسمونه التأثير بالارادة أو الهمة (ومنها) معرفة بعض الامور من غير طريق الحس أو الفكر وهو مايسمونه المكشف (ومنها) الغوص على دقائق أسرار الشريعة وحكمها وصفات النفوس البشرية وقواها وعللها الخ ومنها غير ذلك مما لا حاجة الى ذكره هنا

وان هذا التصوف برياضة النفس قد سبق المسلمين اليه قدماء الهنود والصينيين واليونان ، وقد سرى الى المسلمين كثير من بدع أولئك الاقوام وضلالاتهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وشعائرهم وشاراتهم (كالتسبيح والاعلام) حتى انهم أخذوا عنهم فلسفة وحدة الوجود فصارت غاية الطريق عندهم. وبث الباطنية في التصوف ضلالات أخرى شر أصولها التأويل البعيد للآيات والاحاديث وطائفة الاذعان لكل ما يأمر به السالكين شيوخهم وان كان منكرا وعدم الانكار عليهم في شيء. وكانت الباطنية تقصد بهذا التعاليم افساد دين الاسلام وابطاله وازالة ملكه بالدسائس التي وضعها عبد الله ابن سبأ اليهودي وجمعيات المجوس السرية التي بثت في المسلمين دعوة الغلو في التشيع لآل البيت والطعن في أعاظم الصحابة لافساد دين العرب وتقويض دعائم ملكهم بالشقاق الداخلي فتتمكن تلك الجمعيات بذلك من اعادة ملك المجوس وسلطان دينهم الذين أزالهما العرب بالاسلام. ولولا هذان الاصلان — التأويل والطاعة المطلقة — لما راجت الضلالات والبدع في هذه الطائفة لان أصل طريقتها تزكية النفس بالعلم والعمل الشرعيين مع الصدق والاخلاص والاخذ بالعزائم ومحاسبة النفس حتى على الخواطر، ومن المأثور المشهور عن أئمة الصوفية قولهم: التصوف أخلاق فمن زاد عليك في الاخلاق زاد عليك في التصوف، هو من قواعد الاسلام المنصوصة المعلومة منه بالضرورة انه «لا طاعة في معصية انما الطاعة في المعروف» وهذا لفظ من حديث مرفوع في الصحيحين وغيرهما عن علي كرم الله وجهه وفوقه قول الله تعالى لرسوله (ص) في آية المبايعة (ولا يعصينك في معروف)

ثم بينا هنالك أنه لا سبيل الى تصفية التصوف من البدع الا بتحكيم الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح فيه قبولا وردا بمد بيان أن الضلالات والبدع المتغلغلة في كتب الصوفية قسمان — ما أخذه الباطنية من صوفية البراهمة واليونان ودسوه في التصوف الاسلامي وليس له أصل في الكتاب ولا في السنة الا ما زعموه من التأويلات المخالفة للغة والشرع — وما أحدثه بعض شيوخ الطريقة من الاوراد والشعائر الدينية المخالفة للسنة في ذاتها وأصلها أو في صفتها وطريقة أدائها، حتى ان بعض كبار الفقهاء والمتكلمين روجوا بعض هذه البدع والآراء بالتأويلات والتوسع فيما جوزه بعضهم من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال ولم يراعوا ما اشترطه المحققون في هذا من الشروط — فترى مثل الغزالي من أكبر أئمة علماء الكلام والفقه يرغب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في بعض العبادات المبتدعة مستدلا عليها بهذه الاحاديث الواهية أو الموضوعة دع ما يتعلق منها بالاعتقاد

مثال ذلك صلاة الرغائب في رجب وصلاة ليلة نصف شعبان ذكرهما الغزالي في الاحياء مستدلا عليهما بما ورد فيهما وهو موضوع وقد قال فيهما النووي في منهاجه : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . ولم يكن النووي أعلم بفقه الشافعي من الغزالي بل قال بعض العلماء ان كتب الشيخين الرافعي والنووي مأخوذة من كتبه التي حرر بها المذهب كما قال فيه وفيها بعضهم :

حرر المذهب حبر أحسن الله خلاصه
بسيط ووسيط ووجيز وخلاصه

ولكن النووي كان أعلم منه بالسنة فان الغزالي لم يتوسع في علم السنة الا في آخر عمره (وتممت الخاتمة التي وفقه الله لها بحسن نيته واخلاصه له الدين) ولعله لم يؤلف بعد ذلك شيئاً .

فهذا مثال ما أخذوا فيه بالموضوع . ومما أخذوا فيه بالضعيف الواهي — وهو أكثر — دعاء الوضوء قال في المنهاج : وحذفت دعاء الوضوء اذ لا أصل له . وهو يعني الدعاء الذي ذكره الرافعي تبعاً للغزالي . واعتذر الشمس الرملي شارح المنهاج عنه بأنه يعني انه ليس له أصل صحيح أو لم يكن مستحضراً لما ورد فيه من حديث ضعيف ورد من طرق والضعيف يعمل به في الفضائل ما لم يشتد ضعفه فيما له أصل صحيح كلي ولكن لا يستدل به على السنية ـ هذا ما أذكره عنه بالمعنى وذكر أن والده الشهاب الرملي اعتمد دعاء الوضوء ـ وأقول ان النووي نفى ورود شيء من السنة في دعاء الوضوء في مواضع من كتبه ومنها الاذكار وتعقبه صاحب المهمات فقال ليس كذلك بل روي من طرق منها عن أنس رواه ابن حبان في ترجمة عباد بن صهيب، وقد قال أبو داود انه صدوق قدري وقال أحمد ما كان بصاحب كذب . وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال لو لم يرد فيه الا هذا لشيء الحال ولكن بقية ترجمته عند ابن حبان : كان يروي المناكير عن المشاهير حتى يشهد المبتدئ في هذه الصناعة (أي رواية الحديث) انها موضوعة . وساق منها هذا الحديث اه وقال الذهبي في ترجمته من الميزان : وروى عن حميد عن أنس بخبر طويل في الذكر على الوضوء باطل الخ

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أقتصر على هذين الشاهدين من لاحد بالاحاديث الموضوعة والواهية نصوص الفقهاء فيها وهم الذين يعول الجمهور على كلامهم ويرجحونه على كلام سائر العلماء فيما اختلفوا فيه لانهم هم الذين انتدبوا لتحرير فقه الائمة الذين يدعي الناس تقليدهم وكانت الحكام تحكم بما دونوه في كتبهم ولا تقبل الفتوى الا منها حتى صار جماهير المنتسبين الى طرق الصوفية ينبهون هؤلاء الفقهاء وان كان الصوفي الحقيقي — وهو العارف بربه العالم بدينه العامل به — لا يقلد احدا . وقد احتكر الفقهاء لانفسهم حق ترجيح أقوالهم على أقوال المفسرين والمحدثين وبله الصوفية والمتكلمين، كما صرح به ابن حجر الهيثمي في الفتاوي الحديثية . وكان الصواب أن يحكم علماء الآثار من التفسير والحديث وسيرة سلف الامة في كل خلاف وتنازع يقع بين المسلمين ليبينوا لهم حكم الله ورسوله فيه عملا بقوله عز وجل (فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) ولا خلاف بين أحد من العلماء في معنى هذا الرد بل هم متفقون على أن الرد الى الله هو الرد الى كتابه والرد الى الرسول بعد وفاته هو الرد الى سنته . وعلماء الآثار هم المختصون بعلم صحيح في التفسير ومن سنة الرسول (ص) وسيرة السلف وكثيرا ما يأخذ الفقهاء بما لا يصح من الاحاديث وقد يحكمون بالقياس مع وجود النص بل يأخذون بأقوال المصنفين المنتمين الى مذاهبهم وإن لم يعرفوا لها دليلا ولا نصا من كلام أئمتهم المجتهدين ولا سيما المتأخرين منهم وقد أعملوا المشتغلين بكتبهم سلاحا يحاربون به نصوص الكتاب والسنة اعتذارا بالتقليد فكل كتاب ينتمي مصنفه الى مذاهبهم يحتج به عندهم ويعمل بما فيه ولكن لا يجوز الاهتداء عندهم بالكتاب ولا بالسنة الا من هداه الله ووفقه، ولم تضل أمة من أمم الرسل عن دينها أبعد من ضلال هؤلاء ولولا حفظ الله لكتابه وتوفيقه الحفاظ لتدوين السنة لتعذر الاصلاح ومعرفة حقيقة الاسلام . وقد سبق لنا بيان هذا مرارا كثيرة آخرها ما بسطناه في الكلام على فتوى شيخ الازهر في انكار بعض البدع وما فصلناه في الفتوى الاولى والثانية من جزئي المنار اللذين قبل هذا

وجملة القول في صوفية المسلمين أن علماءهم كسائر أصناف علماء المسلمين الذين استعملوا عقولهم في الدين من المتكلمين والفقهاء كل صنف قد انفرد بالتوسع في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

علم فجاء فيه بما لم يجيء به غيره وكل منهم أخطأ وأصاب فالصوفية اتقنوا علم الاخلاق والآداب الدينية وحكم الشريعة واسرارها وطرق تزكية النفس واصلاحها ـ وهذا بغرض الدين ومقصده فان كانوا قد غلوا وأتوا ببعض مايخالف النصوص ودخل في كتبهم وأعمالهم من تصوف الامم السالفة ومن البدع ماينكره الاسلام فالمتكلمون أيضا قد دخل في كتبهم مثل ذلك من الفلسفة اليونانية وغيرها من البدع المخالفة للنصوص ولما كان عليه السلف وكذلك الفقهاء قد دخل في كتبهم مثل ذلك بالرأي والقياس والاخذ بالاحاديث الضعيفة والموضوعة . وكل من في هذا العصر من المنتحلين لطرق الصوفية فهو منتم الى أحد مذاهب الفقهاء والمتكلمين فلو صلح حال المشتغلين بعلم الفقه لامكنهم إصلاح أهل الطريق، وأنى يصلح غيره من لم يصلح نفسه؟ وأنى يصلح نفسه أو غيره من اتخذ علم الدين حرفة للارتزاق به فهو يخدم ويطبع من يعتقد أو يظن أو يتوهم أن أمر رزقه بيده ولو فيما يضر ملته وأمته ؟

من هذا البيان الوجيز المفيد يعلم السائل حقيقة التصوف وان له كتبا تشبه القوانين أكثر ما فيها منصوص أو مستنبط من الشرع أو غير مخالف له وبعضها بدع تلصق به إلصاقا بشبهات وتأويلات باطلة . وأحسن الكتب في تصوف الحقائق وأسلمها من مخالفة الكتاب والسنة فيما نعلم كتاب مدارج السالكين . وأما سؤال السائل عن وجه الحاجة اليه مع وجود الكتاب والسنة فجوابه ان علمي الكلام والفقه يشاركان التصوف في هذا السؤال وجوابه فكما شعر المسلمون بالحاجة الى تصنيف الكتب في بيان أصول العقائد التي تستند الى الكتاب والسنة للتمييز بينها وبين البدع وإثباتها بالادلة النظرية الفنية التي كانت مألوفة بانتشار كتب الفلسفة وردّ شبهات المخالفين على هذه العقائد — وكما شعروا بالحاجة الى تدوين علم الاحكام الشرعية في العبادات والمعاملات لايضاح ماجاء في الكتاب والسنة من النصوص وما يمكن ان يستنبط منها ولو بطريق القياس الذي احتج على اثباته ببعضها — كذلك شعروا بالحاجة الى تدوين الكتب لبيان طريقة التربية والتأدب بالآداب المنصوصة فيهما أو المستنبطة منهما والمفصلة فيهما من الاجمال. وقد قلنا آنفا إن ماوقع في كتب الصوفية من المخالفة لبعض نصوصها وسيرة السلف الصالح الذين أجمعت كل الفرق على تفضيلهم وخيريتهم وقع مثله في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كتب المتكلمين والفقهاء. يعلم ذلك من كتب السنة ومن الكتب التي يرد فيها كل منهم على الآخر، والفقهاء المقلدون يوجبون طاعة شيوخهم الذين التزمو تقليد مذاهبهم و يجعلون كلامهم أصلا في الدين يردون به نصوص الكتاب والسنة بتأويل أو غير تأويل كما يوجب المتصوفة طاعة شيوخهم المسلكين و يؤولون ما خالفوا فيه الشرع ولكن لا يقولون انه اصل في الدين يجب على الناس اتباعه شرعا بل شبهة هذه الطاعة عندهم ان التربية المرادة من سلوك الطريقة تتوقف على هذه الطاعة موقتا لا دائما وأن كلامهم في الحقائق رموز لا يفهمها غيرهم

وقد ذكر المحقق ابن القيم في كتابه (اعلام الموقعين) أمثلة كثيرة لما خالف فيه المقلدون للمذاهب المشهورة النصوص الصحيحة الصريحة المحكمة اتباعا لاقوال شيوخهم واحتجوا لهذه الاقوال بالاقيسة أو بجعل المتشابه أصلا للمحكم أو بأحاديث لا تصح ولا يحتج بها بحسب القواعد الاصولية ومنها ما احتجوا له بعبارة من حديث صحيح يردون باقيه المخالف للمذهب وهذا من عجيب أمرهم كما قال وقد أورد له ستة وستين شاهدا في الوجه التاسع عشر من وجوه الرد على المقلدين التي بلغت ٨١ وجها فليراجعها السائل ومن شاء في الفصل المعقود للكلام في القياس والتقليد من الجزء الاول من هذا الكتاب الجليل .

ثم انه عقد بعد هذا الفصل فصلا آخر في « تحريم الافتاء والحكم في دين الله بما يخالف النصوص وسقوط الاجتهاد والتقليد عند ظهور النص وذكر اجماع الفقهاء على ذلك » وقد أورد في هذا الفصل ٧٧ مثالا لرد أهل المذاهب السنة الصحيحة الصريحة المحكمة بالقياس أو بغير الصحيح أو بالمتشابه ، وذكر في الوجه الثامن منها بعض شبهاتهم ورد عليها باثنين وخمسين وجها كلها شواهد تؤيد ما ذكرناه

فاذا كان الامر كذلك فلماذا يخشى السائل كسوف شمس الشريعة في أفق الصوفية دون غيرهم وهو يعلم أن المتحلين لطرق التصوف والمنتحلين لمذاهب الفقه لا تزييل بينهم ولا تمييز - فلا هؤلاء على هدي أئمة الفقه من علماء السلف كمالك والشافعي، ولا اولئك على هدي أئمة التصوف كالجنيد والشبلي وأمثالهم من عباد السلف. فالحق أن جميع الفرق لها حسنات وسيئات (ثلة من الاولين وقليل من الآخرين)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأكثر مسلمي هذا العصر ضعفاء في الدين علما وعملا ولاسيما في البلاد التي ليس فيها حكومة اسلامية تقيم الحدود وتلتزم الشرع . والبلاد ذات الحكومة الاسلامية على قلتها بعضها شديدة التعصب لمذهب معين كالبلاد الافغانية المتعصبة لمذهب الحنفية وحكومة اليمن المتعصبة لمذهب الزيدية فهذان لا يرجى أن يكون فيهما اصلاح اسلامي عام لاستحالة اتباع جميع المسلمين لهذا المذهب أو ذاك — وبعضها شديد التأخر في العمل مع ضعف في العلم كبلاد نجد ولكن لهذه مزية لا نعرفها لبلاد أخرى من بلاد المسلمين في هذا العصر وهي أنهم وان كانوا منتمين الى مذهب الامام أحمد فلا نعرف جماعة من جماعات الاسلام غيرهم تقبل اتباع كل ما ثبت في الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح وتدعو اليه. وترد ما خالفه وان قاله أو كتبه حنبلي مثلهم، ومع هذا يرميهم كثير من المسلمين بالابتداع والضلال ومنهم من يكفرهم كما يرمون بذلك من يدعو الى الكتاب والسنة من الافراد. وأي بلاء أشد على الاسلام من هذا؟ واذا قيض الله لهذه البلاد أن يتسع فيها العلم فانها تحيي الاسلام في جزيرة العرب ومن ثم يتجدد في سائر العالم فيعود الامر كما بدأ.

قال صلى الله عليه وسلم « بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء » رواه مسلم عن أبي هريرة والنسائي عن ابن مسعود وابن ماجه عنهما وعن أنس . وروى مسلم من حديث ابن عمر مرفوعا « ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ ويأرز بين المسجدين كما تأرز الحية في جحرها » وفسر الغرباء في حديث آخر مرفوع بقوله « الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من سنتي » رواه الترمذي من حديث عمرو بن عوف المزني. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد عاد الاسلام غريبا كما بدأ حتى صار المسلم الحق المحيي للسنة غريبا مطعونا في دينه ، فاذا قوي هؤلاء الغرباء الذين يحيون ما أماتت الناس من سنته (ص) واعتزوا بعد ضعفهم الذي هو عليه اليوم كما كان سلفهم في بدئه فان غربته تستتبع المجد والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين آخرا كما استتبعته أولا لاتحاد السبب

ان العالم الاسلامي ليئن من ضعف دينه وامتهان شعوبه بامتهانه ، وانه ليتبرم من سوء حال سادته وكبرائه والمنتحلين لعلم الدين ومن جهل أكثرهم بما يجب من الخدمة في هذا العصر وقعودهم عنها حتى امتهنوا وسقطوا من مكانتهم الاجتماعية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولم يبق بأيديهم من مصالح الامة شيء يعتدبه، فل وطنوا أنفسهم في بعض البلاد على الحرمان منها ورضوا بعدم مشاركة غيرهم حتى بالبحث فيها — وانه سيضطر على الازهر وأمثالهم من معممي سائر الاقطار الى الاصلاح الذي كانوا يقاومونه وانما يضطرهم الى ذلك باحتقاره لهم عليه اليوم اذ قرب ان يزول ما كانوا يعتزون به من اتباع السواد الاعظم من العوام لهم وتقبيلهم لايديهم ومواساتهم بالهدايا والصدقات والوصايا فيهذا اذا قام فيهم مصلح كالسيد الافغاني الحكيم والاستاذ الامام هموا في آذان هؤلاء العوام: هذا معتزلي هذا فيلسوف هذا كافر يريد أن يفسد عليكم دينكم، فحافظوا على تقاليدكم وعوائدكم واستغاثتكم بأهل القبور الذين يتوسلون لكم عند الله بدفع النقم وحفظ النعم — التي جعلتكم وراء جميع الامم

نعم أوشك أن يزول ذلك بل زال الا قليلا وقد رأينا ما كان من تأثير موت الاستاذ الامام وموت غيره من أكابر الشيوخ الذين تولوا منصب الافتاء مثله وتولوا مالم يتول من مشيخة الازهر — اضطراب القطر المصري واهتز العالم الاسلامي كله اموت الاستاذ الامام باشد مما اضطربت بيوت أولئك الشيوخ لموتهم الذي لايكاد يشعر به وما ذلك الا لانهم كانوا يعيشون لانفسهم وبيوتهم وكان يعيش لامته وملته

سبقت الهند مصر وسورية والحجاز في احياء السنة علما وعملا وقد تمهدت العقبات امام مصر وبدت طلائع الاصلاح في نابغة الازهر ولكن الحركة فيه لاتزال بطيئة ولا تسرع بها الا صدمات المعارضة والمقاومة لها وحينئذ نجد من طلاب الاصلاح الديني والدنيوي أعوانا وأنصارا نجبرها ويتعاون رجال الدين ورجال المدنية على الاصلاح الاسلامي الديني المدني ويظهر صدق قولنا في المقصورة بعد التنويه بما قام به الاستاذ الامام من الاجتهاد في اصلاح الازهر

فان يك الازهر لم يصلح بها ... فقد نأى عن سبل من كان مأى (١)

ونبتت من غرسه نابتة ... سلائم الصدع وترأب الثأى

وترفع الحجب عن المعهد أو ... يعود جحر الضب حيث كنا (٢)

(١) مأى بالفتح وتعمق أي بعد عن طرق المتأخرين المتنطعين المتعمقين في مباحث عبارات الكتب (٢) أي الى أن يعود جحر الضب الذي دخلوا فيه باتباع سنن =

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اذاً ينال وهو قد أشفى الشفا ... من ممضل بات به على شفا
ثمت ولى المصلحون شطره ... يحوطونه من كل فج ورجا
ماوردوا حياضه وصدروا ... الا يفيضون علوما وهدى
فاحيوا الاسلام في انفس من ... داناهم بهجره صرف الردى
فعاد آهلا الى موطنه ... من غربة طال بها عهد النوى
واستتبعت غربته المجد كما ... كانت فعاد الامر مثلما بدا

فتبين بهذا ان خوف السائل على الاسلام من بدع خلف المتصوفة هو من قبيل توقع الواقع وانما يتلافى هذا الواقع فيهم وفي غيرهم بتجديد يكون سريعا اذا أيدته حكومة اسلامية وبطيئا اذا لم يتح له ذلك في بدء التجديد. وانما يكون التجديد بالتعارف والتعاون بين الطائفة التي بشر النبي (ص) بأن أمته لا تخلو من وجودها فانها الآن متفرقة في البلاد مامن قطر الا وفيه أفراد منها ففي حديث ثوبان في الصحيحين وكتب السنن «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» وفي معناه أحاديث أخرى

وأهم القواعد التي يجب بناء الاصلاح عليها هي

(١) الاعتراف بالاسلام كل مذعن لما أجمع عليه المسلمون من أمر الدين

(٢) بث دعوة العمل بهداية الكتاب والسنة الصحيحة وسيرة السلف الصالح فيهما كما أثبته علماء الحديث بالاسانيد المعتمدة وترك ما خالفه من أنظار المتكلمين وآراء الفقهاء ولا نزيد في أمور العبادات والحلال والحرام على ذلك ولا ننقص منه، وقد بينا حجج هذه المسألة مرارا. وليس معنى هذا ان يكون المهتدي بذلك اماما مجتهدا بل ان يكون على بصيرة من دينه على طريقة السلف عوامهم وخواصهم مع الاستعانة على فهم النصوص بما فسرها به العلماء

(٣) عدم التعصب لبعض المذاهب على بعض وذلك بأن نعذر كل متبع لامام من أئمة السلف المجتهدين في حكم من الاحكام من أئمة آل البيت كزيد بن علي

= من قبلهم واسما بسهولة الحنيفية السمحة، اشارة الى حديث ابي سعيد الخدري المتفق عليه «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم» هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم «حتى لو دخلوا في جحر ضب لتبعتموهم»

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والصادق والباقر رأئمة فقهاء الامصار كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأئمة الصوفية كالجنيد ، وعلماء الصحابة والتابعين بالاولى. ولا نكفر مسلما مذعنا بذنب ولا بدعة ارتكبها بجهل أو بشبهة اتباع امام أو بتأول. ومتى زال التعصب تكون المناظرة بين المختلفين في ذلك بالدليل الشرعي مع الادب والاحترام واتقاء الشقاق والتفرق بين المسلمين، ويتبع دعاة الاصلاح في ذلك قاعدة الامام مالك: كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر - يعني النبي (ص) فلا يتعصبون لشخص معين غير الرسول صلوات الله وسلامه عليه ولا لجماعة غير الصحابة رضوان الله عليهم فما أجمعوا عليه فلا مندوحة عن اتباعه وما اختلفوا فيه يرجح فيه ما كان دليله أقوى والآخذون به من التابعين وسائر علماء السلف أكثر فانه قلما يسلم عالم مجتهد من شذوذ ينفرد به دون الجماعة فيعذر باجتهاده ولا يتبع فيه ولعلنا نكتب في فرصة أخرى مقالا في شذوذ كبار العلماء الذين خالفوا الجمهور ليكون شرحا لقاعدة الامام مالك رحمه الله تعالى

(٤) الاستعانة بارشاد الكتاب والسنة على الاصلاح الدنيوي مع تحصيل العلوم والفنون التي ترتقي بها الزراعة والصناعة والتجارة والقوى الحربية فان هذا مفوض الينا بتلك الهداية التي نصت على أن الله خلق لنا ما في الارض جميعا وامرنا بأن نعد لحفظ دعوة الحق ما نستطيع من قوة . وقول رسولنا صلى الله عليه وسلم « انما انا بشر مثلكم اذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما أنا بشر » وقال « أنتم أعلم بامر دنياكم » رواهما مسلم في صحيحه

ولهذه المسائل تفصيل شرحناه في المنار مرارا بل كان المنار في جملته وتفصيله دعوة الى الاصلاح الاسلامي المبني على أساس اتباع جمهور السلف الصالح في أمور الدين رواية ودراية وعملا بلا زيادة ولا نقص - وبالينا نبلغ مد أحدهم أو نصيفه - واتباع ما تقتضيه المصلحة ويثبته العلم والاختبار في أمور الدنيا مطلقين لاجتهادنا العنان فيه - وهذا اتباع للسلف فيما فهموه من هدي الكتاب والسنة أيضا كما يعرف من سيرتهم في فتح البلاد وانشاء الدواوين وتعميم العلوم ودور العلم والفنون والعمل بها. وهو مذهب امام دار الهجرة مالك ابن انس كما بينه الشاطبي في الاعتصام وغيره

(ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ شرح قاعدة لا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ﴾

٢

تتمة كلام شيخ الاسلام وهو في الاختلاف في الدين

ثم المختلفون المذمومون كل منهم يبغي على الآخر فيكفر بما معه من الحق مع علمه انه حق ، ويصدق بما مع نفسه من الباطل مع علمه بأنه باطل ، وهؤلاء كلهم مذمومون ولهذا كان اهل الاختلاف المطلق كلهم مذمومين في الكتاب والسنة فانه مامنهم الا من خالف حقا واتبع باطلا ، ولهذا أمر الله الرسل أن تدعو الى دين واحد وهو دين الاسلام ولا يتفرقوا فيه وهو دين الاولين والآخرين من الرسل واتباعهم قال تعالى(شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم اليه) وقال في الآية الاخرى (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم * وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون * فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) أي كتبا اتبع كل قوم كتابا مبتدعا غير كتاب الله فصاروا متفرقين مختلفين لان أهل التفرق والاختلاف ليسوا على الحنيفية المحضة التي هي الاسلام المحض الذي هو اخلاص الدين لله الذي ذكره الله في قوله (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ذلك دين القيمة) وقال في الآية الأخرى(فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون * منيبين اليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولاتكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون)فنهاه أن يكون من المشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وأعاد حرف «من» ليبين أن الثاني بدل من الاول والبدل هو المقصود بالكلام وماقبله توطئة له وقال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم ـ الى قوله ـ ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) فأخبر أن أهل الرحمة لايختلفون. وقد ذكر في غير موضع أن دين الانبياء كلهم الاسلام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما قال تعالى عن نوح (وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال عن ابراهيم (اذ قال ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون)وقال يوسف(فاطر السموات والارض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) (وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) وقال عن السحرة (ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) وقال عن بلقيس(رب اني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار) وقال (واذ أوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهد بأنا مسلمون)وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال« انا معاشر الانبياء ديننا واحد» وتنوع الشرائع لايمنع أن يكون الدين واحداً وهو الاسلام كالدين الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم فانه هو دين الاسلام أولا وآخرا، وكانت القبلة في أول الامر بيت المقدس ثم صارت القبلة الكعبة ،وفي كلا الحالين الدين واحد وهو دين الاسلام فهكذا سائر ما شرع للانبياء قبلنا ولهذا حيث ذكر الله الحق في القرآن جعله واحداً وجعل الباطل متعدداً كقوله (وأن هذا صراطاً مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)وقوله(اهدنا الصراط المستقيم *صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)وقوله(اجتباه وهداه الى صراط مستقيم) وقوله (ويهديك صراطاً مستقيما)وقوله (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) وهذا يطابق ما في كتاب الله من أن الاختلاف المطلق كله مذموم بخلاف المقيد الذي قيل فيه (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر)فهذا قد بين أنه اختلاف بين أهل الحق والباطل كما قال (هذان خصمان اختصموا في ربهم) وقد ثبت في الصحيح انها نزلت في المقتتلين يوم بدر في حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وعبيدة بن الحرث ابني عميه والمشركين الذين بارزوهم عتبة وشيبة والوليد بن عتبة

وقد تدبرت كتب الاختلاف التي يذكر فيها مقالات الناس ... خلا مجرداً مثل كتاب المقالات لابي الحسن الأشعري وكتاب الملل والنحل للشهرستاني ولابي عيسى الوراق أو مع انتصار لبعض الاقوال كسائر ما صنفه أهل الكلام

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

على اختلاف طبقاتهم فرأيت عامة الاختلاف الذي فيها من الاختلاف المذموم وأما الحق الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه وكان عليه سلف الامة فلا يوجد فيها في جميع مسائل الاختلاف بل يذكر أحدهم في المسئلة عدة أقوال والقول الذي جاء به الكتاب والسنة لايذكرونه، وليس ذلك لانهم يعرفونه ولا يذكرونه بل لايعرفونه، ولهذا كان السلف والأئمة يذمون هذا الكلام ولهذا يوجد الحاذق منهم المنصف الذي غرضه الحق في آخر عمره يصرح بالحيرة والشك(١) اذا لم يجد في الاختلافات التي نظر فيها وناظر ماهو حق محض وكثير منهم يترك الجميع ويرجع الى دين العامة الذي عليه العجائز والاعراب كما قال أبو المعالي وقت السياق: لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الاسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه والآن ان لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني وها انا ذا أموت على عقيدة أمي . وكذلك أبو حامد في آخر عمره استقر أمره على الوقف والحيرة بعد أن نظر فيما كان عنده من طرق النظار أهل الكلام والفلسفة وسلك ماتيسر له من طرق العبادة والرياضة والزهد وفي آخر عمره اشتغل بالحديث بالبخاري ومسلم ، وكذلك الشهرستاني مع أنه كان من أخبر هؤلاء المتكلمين بالمقالات والاختلاف وصنف فيها كتابه المعروف بنهاية الاقدام في علم الكلام وقال : قد أشار على من اشارته غنم، وطاعته حتم . ان اذكر له من مشكلات الاصول ، ماأشكل على ذوي العقول، ولعله استسمن ذاورم. ونفخ في غير ضرم،

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

فاخبر انه لم يجد الا سائراً شاكا مرتاباً أو من اعتقد ثم ندم لما تبين له خطأه فالاول في الجهل البسيط (كظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها) وهذا دخل في الجهل المركب ثم تبين له انه جهل فندم، ولهذا تجده في المسائل يذكر أقوال الفرق وحججها ولا يكاد يرجح شيئاً للحيرة، وكذلك الآمدي الغالب عليه الوقف في الحيرة . وأما الرازي فهو في الكتاب الواحد بل في الموضع منه ينصر قولا وفي موضع آخر منه أو من كتاب آخر ينصر نقيضه. ولهذا استقر أمره على الحيرة والشك . ولهذا لما ذكر ان أكمل العلوم العلم بالله

(١) المنار: اي الشك في الترجيح بين المسالة الكلامية والفلسفية لا في أصل الاسلام

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وبصفاته وأفعاله ذكر على أن كلا منها اشكال (١) وقد ذكرت كلامه وبينت ما أشتمل عليه وعلى هؤلاء في مواضع فان الله قد أرسل رسله بالحق وخلق عباده على الفطرة فمن كمل فطرته بما أرسل الله به رسله وجد الهدى واليقين الذي لاريب فيه ولم يتناقض ولكن هؤلاء أفسدوا فطرتهم العقلية وشرعتهم السمعية بما حصل لهم من الشبهات والاختلاف الذي لم يهتدوا معه الى الحق كما قد ذكر تفصيل ذلك في موضع غير هذا

والمقصود هنا انه لما ذكر ذلك قال: ومن الذي وصل الى هذا الباب، ومن الذي ذاق من هذا الشراب

نهاية اقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال : «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلا. ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ـ أقرأ في الاثبات (اليه يصعد الكلم الطيب ـ الرحمن على العرش استوى) وأقرأ في النفي (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ـ ولا يحيطون به علما) ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي» وهو صادق فيما أخبر به انه لم يستفد من بحثه في الطرق الكلامية والفلسفية سوى أن جمع قيل وقالوا وانه لم يجد فيها ما يشفي عليلا أو يروي غليلا، فان من تدبر كتبه كلها لم يجد فيها مسألة واحدة من مسائل أصول الدين موافقة للحق الذي يدل عليه المنقول والمعقول بل يذكر في المسألة عدة أقوال والقول الحق لا يعرفه فلا يذكره. وهكذا غيره من أهل الكلام والفلسفة ليس هذا من خصائصه فان الحق واحد ولا يخرج عما جاءت به الرسل وهو الموافق لصحيح المعقول وفطرة الله التي فطر عليها عباده. وهؤلاء لا يعرفون ذلك بل هم (من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) وهم مختلفون في الكتاب (وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد)

وقال الامام أحمد في خطبة مصنفه الذي صنفه في محبسه في رد على الزنادقة

(١) المنار كتب مصححو الكتاب في المطبعة الاميرية : هكذا في الاصل: لعل في الكلام نقصا أو تحريفا اهـ والمعقول لعل الاصل: ذكر أن كلا منها عليه اشكال ـ أو ذكر أن على كل منها اشكالا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله قال: «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل الى الهدى، ويصبرون منهم على الاذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل الضلالة والعمى، فكم من قتيل لابليس قد أحيوه، وكم من تائه ضال قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب متفقون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يلبسون عليهم.» وهو كما وصفهم رحمه الله فان المختلفين أهل المقالات المذكورة في كتب الكلام اما نقلا مجرداً للاقوال واما نقلا وبحثاً وذكر للجدال مختلفون في الكتاب كل منهم يوافق بعضاً ويرد بعضاً ويجعل مايوافق رأيه هو المحكم الذي يجب اتباعه ومايخالفه هو المتشابه الذي يجب تأويله أو تفويضه وهذا موجود في كل مصنف في الكلام. اهـ

*

هذا ما أحببنا نقله من كلام شيخ الاسلام في هذا المقام وقد أطال بعده في وصف المتكلمين وخلافهم وفضل الاشعري على غيره في معرفة الفرق ومذاهبها وذكر خلاف الفلاسفة أيضا. ونصر مذهب السلف بالعقل والنقل على مذاهب جميع المتكلمين والفلاسفة. ولا يهولنك تخطئة هذا الرجل لجميع أولئك الاساطين من الفلاسفة والنظار غروراً بشبهة الشيطان انه لا يعقل ان يكون هو أعلم منهم أو أذكى حتى يكون أحق بالصواب وأولى. فالرجل ليس صاحب مذهب مخترع تعارضت أدلته مع أدلة هذه الفرق واشتبه علينا الامر حتى نرجح قوله على كل منها أو نرجح غيره عليه، بل هو ناصر مذهب جمهور السلف الصالح بالادلة العقلية التي انخدع بنظرياتها كل من شذ عنه قليلا أو كثيرا. وأساس مذهبهم الايمان بكل ماجاء في كتاب الله وصح عن رسوله على الوجه الذي كان عليه خير الامة قبل افتتانها بالنظريات التي فرقتهم شيعا. ونحمد الله أن يسر لنا من هدم كل ماخالف السلف من تلك النظريات بأدلة من جنسها هي أقوى منها وأثبت بالبرهان أن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول. ويتلو هذا اثبات ان هذا الدين من عند الله اذ لو كان من عند الرسول أو غيره لما في باطن المتكلمين والفلاسفة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكان المتأخر أصح رأيا فيه من المتقدم

وقد استوفى الرد على أولئك المخالفين للسلف من المنتسبين الى مذاهب السنة والمبتدعة والفلاسفة في كتابه (موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) وانني انقل منه هنا ماختم به الوجه السابع من الوجوه التي تكلم فيها على تقديمهم العقل على النقل عند التعارض وهو :

﴿ تفنيد ابن تيمية لقول المتكلمين بتقديم النظريات العقلية على النصوص السمعية ﴾

والمقصود هنا التنبيه على أنه لو سوغ للناظرين أن يعرضوا عن كتاب الله تعالى ويعارضوه بآرائهم ومعقولاتهم لم يكن هناك أمر مضبوط يحصل لهم به علم ولا هدى فان الذين سلكوا هذه السبيل كلهم يخبر من نفسه بما يوجب حيرته وشكه والمسلمون يشهدون عليه بذلك فثبت بشهادته وقراره على نفسه وشهادة المسلمين الذين هم شهداء الله في الارض انه لم يظفر من أعرض عن الكتاب وعارضه بما يناقضه بيقين يطمئن اليه ولا معرفة يسكن بها قلبه ولذين ادعوا في بعض المسائل أن لهم معقولا صريحا يناقض الكتاب قابلهم آخرون من ذوي المعقولات فقالوا ان قول هؤلاء معلوم بطلانه بصريح المعقول فسموا مايدعى معارضة للكتاب من المعقول ليس فيه ما يجزم بأنه معقول صحيح اما بشهادة أصحابه عليه وشهادة الامة واما بظهور تناقضهم ظهورا لاارتياب فيه واما لمعارضة آخرين من أهل هذه المعقولات لهم، بل من تدبر مايعارضون به الشرع من المعقليات وجد ذلك مما يعلم بالعقل الصريح بطلانه والناس اذا تنازعوا في المعقول لم يكن قول طائفة لها مذهب حجة على أخرى بل يرجع في ذلك الى الفطر السليمة التي لم تتغير باعتقاد يغير فطرتها ولا هوى فامتنع حينئذ أن يعتمد على مايعارض الكتاب من الاقوال التي يسمونها معقولات وان كان ذلك قد قالته طائفة كبيرة لمخالفة طائفة كبيرة لها ولم يبق الا أن يقال ان كل انسان له عقل فيعتمد على عقل نفسه وما وجده معارضا لاقوال الرسول صلى الله عليه وسلم من رأيه خالفه وقدم رأيه على نصوص الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم. ومعلوم أن هذا أكثر ضلالا واضطرابا فاذا كان عقول النظار وأذكياء الفلاسفة الذين بلغوا في الذكاء والنظر الى الغاية وهم ليلهم ونهارهم يكدحون في معرفة هذه المعقليات ثم لم يصلوا فيها الى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

معقول صريح يناقض الكتاب بل اما الى حيرة وارتياب وهو مما الى اختلاف بين الاحزاب فكيف غير هؤلاء ممن لم يبلغ مبلغهم في الذهن والذكاء ومعرفة ما سلكوه من العقليات

فهذا وأمثاله مما يبين أن من أعرض عن الكتاب وعارضه بما يناقضه لم يعارضه الا بما هو جهل بسيط أو جهل مركب فالاول (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب) والثاني (كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) وأصحاب القرآن والايمان في نور على نور قال تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا الى الله تصير الامور) وقال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره) الى آخر الآية وقال تعالى (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) فأهل الجهل البسيط منهم أهل الشك والحيرة من هؤلاء الماضين للكتاب المعرضين عنه، وأهل الجهل المركب أرباب الاعتقادات الباطلة التي يزعمون أنها عقليات وآخرون ممن يعارضهم بقول مناقض لتلك الاقوال هو العقليات ومعلوم أنه حينئذ يجب فساد أحد الاعتقادين أو كليهما والغالب فساد كلا الاعتقادين لما فيهما من الاجمال والاشتباه وأن الحق يكون فيه تفصيل يبين أن مع هؤلاء حقا وباطلا ومع هؤلاء حقا وباطلا والحق الذي مع كل منهما هو الذي جاء به الكتاب الذي يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه والله أعلم اهـ

[المنار] كل مؤمن سليم الفطرة صحيح العقل اذا قرأ هذا يجزم بأنه الحق، وانه يجب على المسلمين أن لا يغتروا بشهرة أحد من المتكلمين ولا الصوفية ولا الفقهاء الذين خالفوا السلف فيما نقله ثقات المحدثين عنهم من أمر الدين، وانما نعذر كل عالم في اجتهاده اذا ثبت من سيرته اذعانه للحق واخلاصه وان قصده تأييد الشرع ولكن لا نتبع أحدا فيما خالف هدي السلف الصالح والمحدثين المعتمدين على نقل ثقات المحدثين دون آراء المختلفين . وهذا منتهى الاصلاح في الدين .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تاريخ فنون الحديث

٣

المستدرك على الصحيحين للحاكم

قد أودع الحافظ محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري(١) في كتابه المستدرك ما ليس في الصحيحين مما رأى أنه على شرطهما أو شرط أحدهما (٢) أو ما أدى اجتهاده الى تصحيحه وان لم يكن على شرط واحد منهما مشيراً الى القسم الاول بقوله هذا حديث على شرط الشيخين أو على شرط البخاري أو على شرط مسلم والى القسم الثاني بقوله هذا حديث صحيح الاسناد وربما أورد فيه ما لم يصح عنده منبهاً على ذلك وهو متساهل في التصحيح وقد لخص الحافظ الذهبي (٣) مستدركه وأبان ما فيه من ضعيف أو منكر وهو كثير وجمع جزء في الاحاديث الموضوعة التي وجدت فيه فبلغت حوالي مائة. قال الذهبي: في المستدرك جملة وافرة على شرطيهما أو شرط أحدهما ولعل مجموع ذلك نحو نصف الكتاب وفيه نحو الربع مما صح سنده وفيه بعض الشيء وما بقي وهو نحو الربع فهو مناكير واهيات لا تصح وفي بعض ذلك موضوعات

وهذا الامر مما يتعجب منه فان الحاكم كان من الحفاظ البارعين في هذا الفن ويقال أن السبب في ذلك أنه صنفه في أواخر عمره وقد اعترته غفلة وقال الحافظ ابن حجر انما وقع للحاكم التساهل لانه سود الكتاب لينقحه فعاجلته المنية ولم يتيسر له تحريره وتنقيحه

وقال كثير من المحدثين ان ما انفرد الحاكم عن أئمة الحديث بتصحيحه يبحث عنه ويحكم عليه بما يقضي به حاله من الصحة أو الحسن أو الضعف اه

«١» توفي سنة ٤٠٥ «٢» قال النووي المراد بقول المحدثين على شرطهما أو على شرط أحدهما ان يكون رجال الاسناد في كتابيهما أو في كتاب أحدهما لانهم ليس لهما شرط في كتابيهما ولا في غيرهما (٣) سنة ٧٤٨

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المستخرجات على الصحيحين

قبل أن نذكر المستخرجات على الصحيحين نذكر معنى الاستخراج فنقول الاستخراج أن يعمد حافظ الى صحيح البخاري مثلا فيورد أحاديثه واحداً واحداً بأسانيد لنفسه غير ملتزم فيه ثقة الرواة - من غير طريق البخاري الى أن يلتقي معه في شيخه أو فيمن فوقه اذا لم يمكن الاجتماع معه في الاقرب وربما ترك المستخرج أحاديث لم يجد له بها اسناداً مرضياً وربما علقها عن بعض رواتها وربما ذكرها من طريق صاحب الاصل وقد اعتنى كثير من الحفاظ بالتخريج وقصروا ذلك في الاكثر على الصحيحين لكونهما العمدة في هذا الفن . وللمستخرجات فوائد منها ما قد يقع فيها من زوائد في الحديث لانهم لا يلتزمون الفاظ المستخرج عليه ومنها علو الاسناد اذ رواية الحديث عن صاحب المستخرج عليه أبعد من روايته عن طبقته أو شيوخه وقد يقع فيها التصريح بالسماع مع كون الاصل معنعناً أو بتسمية مبهم في الاصل ولا يحكم للزيادات الواقعة في المستخرجات بالصحة الا اذا كان سند المستخرج الى الشيخ الذي التقى فيه مع مصنف الاصل صحيحاً متصلا . وقد يطلق التخريج على عزو الحديث الى من أخرجه من الأئمة كقولنا أخرجه البخاري للحديث الذي يوجد في صحيحه

ومن الكتب المستخرجة على جامع البخاري المستخرج لابي نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهاني (١) والمستخرج لابي بكر أحمد بن ابراهيم الاسماعيلي (٢) والمستخرج لابي بكر أحمد بن محمد البرقاني شيخ الفقهاء والمحدثين (٣)

ومن المستخرجات على صحيح مسلم تخريج أحمد بن حمدان النيسابوري (٤) وتخريج ابي عوانة الاسفرائني (٥) وتخريج أبي نصر الطوخي (٦) والمسند المستخرج على مسلم للحافظ أبي نعيم الاصبهاني (٦)

المجتبى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٧)

لما صنف النسائي سننه الكبرى أهداها الى أمير الرملة فقال له أكل ما فيها صحيح فقال فيها الصحيح والحسن وما يقاربهما فقال ميز لي الصحيح من غيره

---

١٠. توفي سنة ٤٣٠ ٢٠. سنة ٣٧١ ٣٠. سنة ٤٢٥ ٤٠. سنة ٣١١ ٥٠. سنة ٣١٦ ٦٠. سنة ٣٤٤ ٧٠. ٣٠٣

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصنف له السنن الصغرى وسماه المجتبى من السنن

ودرجته في الحديث بعد الصحيحين لانه أقل السنن بعدما ضعيفاً. وأما سننه الكبيرة فكان من طريقته أن يخرج فيها عن كل شخص لم يجمع على تركه. واذا نسب الى النسائي رواية حديث فانما يعنون رواياته في مجتباه وقد شرح المجتبى شرحا وجيزاً الحافظ جلال الدين السيوطي (١) وكذلك شرحه أبو الحسن محمد ابن عبد الهادي السندي الحنفي (٢) اقتصر فيه على حل ما يحتاج اليه القارئ والمدرس من ضبط اللفظ وايضاح الغريب والاعراب شأنه في شرح الكتب الستة على أن شرحه أوسع من شرح السيوطي (*) وقد شرح سراج الدين عمر بن علي بن الملقن الشافعي زوائده على الصحيحين وأبي داود والترمذي في مجلد

سنن أبي داود سليمان بن أشعث السجستاني (٣)

قال أبو سليمان الخطابي في كتابه معالم السنن اعلموا رحمكم الله أن كتاب السنن لابي داود كتاب شريف لم يصنف في علم الدين كتاب مثله وقد رزق القبول من كافة الناس فصار حكما بين فرق العلماء وطبقات العلماء على اختلاف مذاهبهم فلكل منه ورد ومنه شرب (**) وعليه معول أهل العراق وأهل مصر وبلاد المغرب وكثير من أقطار الارض. قال أبو داود رحمه الله كتبت عن رسول الله (ص) خمسمائة الف حديث فانتخبت منها أربعة آلاف حديث وثمانمائة ضمنتها هذا الكتاب ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه ويكفي الانسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث أحدها قوله (ص) «الاعمال بالنيات» والثاني قوله (ص) «من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه» والثالث قوله (ص) «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لاخيه ما يرضى لنفسه» والرابع «الحلال بين والحرام بين» الحديث وقال ما ذكرت في كتابي حديثاً أجمع الناس على تركه وما كان به من حديث فيه وهن شديد فقد بينته ومنه ما لا يصح سنده. ومالم أذكر فيه شيئاً فهو صالح وبعضها أصح من بعض، وهو كتاب لا ترد عليك سنة عن النبي (ص) الا وهي فيه ولا أعلم شيئاً بعد القرآن الزم للناس أن يتعلموه من هذا الكتاب ولا يضر رجلا أن لا يكتب من العلم شيئاً بعد ما يكتب هذا الكتاب الى آخر كلامه في رسالته

(*) طبع المجتبى على شرحيه هذين في الهند (**) الشرب بالكسر كالورد وهو بمعنى المنهل أي ما يورد وما يشرب (١) توفي سنة ٩١١ «٢» سنة ١١٣٨ (٣) سنة ٢٧٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الى أهل مكة . وقد اشتهر هذا الكتاب بجمعه لاحاديث الاحكام وفيه كثير من المراسيل وكان يحتج بها من تقدم الشافعي كسفيان الثوري ومالك والاوزاعي

﴿شروحها﴾ شرح هذه السنن كثيرون من أفاضل العلماء شرحها الامام الخطابي (١) في كتابه معالم السنن وقطب الدين أبو بكر اليمني الشافعي (٢) في أربع مجلدات كبار وابو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي (٣) كتب من شرحه سبع مجلدات الى أثناء سجود السهو وشرح زوائده على الصحيحين ابن الملقن في مجلدين وشرح السنن شهاب الدين الرملي (٤)

مختصراتها قد اختصرها زكي الدين المنذري (٥) واسمى مختصره المجتبى وقد شرحه السيوطي بكتابه زهر الربا على المجتبى وهذب المختصر ابن قيم الجوزية الحنبلي (٦) وشرح مهذبه شرحا جميلا ذكر فيه أن الحافظ المنذري قد أحسن في اختصاره فهذبته نحو ماهذب هو به الاصل وزدت عليه من الكلام على علل نكت عنها اذ لم يكملها وتصحيح أحاديثه والكلام على متون مشكلة لم يفتح مقفلها وقد بسطت الكلام على مواضع لعل الناظر لايجدها في كتاب سواه

قال ابن كثير في مختصر علوم الحديث أن الروايات لسنن أبي داود كثيرة يوجد في بعضها ماليس في الاخرى

الجامع الصحيح لمحمد أبي عيسى الترمذي (٦)

قال ابو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى عرضت هذا الكتاب على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به واستحسنوه وقال ما أخرجت بكتابي هذا الا جديثا قد عمل به بعض الفقهاء فعلى هذا كل حديث احتج به محتج أو عمل بموجبه عامل أخرجه سواء صح طريقه أو لم يصح لكنه تكلم على درجة الحديث وبين الصحيح منه والمعلول كما ميز المعمول به من المتروك وساق اختلاف العلماء فكتابه لذلك جليل القدر جم الفائدة كما انه قليل التكرار

﴿شروحه﴾ قد شرحه محمد بن عبد الله الاشبيلي المعروف بابن العربي المالكي (٨) وأسمى شرحه (عارضة الاحوذي في شرح الترمذي) وشرحه الحافظ محمد بن محمد الشافعي (٩) شرح نحو ثلثيه في عشر مجلدات ولم يتمه وقد كمله زين الدين

(١) توفي سنة ٣٢٨ (٢) سنة ٦٥٢ (٣) سنة ٨٢٦ (٤) سنة ٨٤٨ (٥) سنة ٦٥٦
(٦) سنة ٧٥١ (٧) سنة ٢٧٩ (٨) سنة ٥٤٦ (٩) سنة ٧٣٤

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عبد الرحيم بن حسين العراقي (١) وشرحه عبدالرحمن بن احمد الحنبلي في عشرين مجلدا وقد احترق شرحه في الفتنة وكذلك شرحه السيوطي والسندي وشرح زوائده على الصحيحين وابي داود عمر بن علي بن الملقن (٢)

﴿ مختصراته ﴾ منها الجامع لنجم الدين محمد بن عقيل (٣) ومختصر الجامع لنجم الدين سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي (٤)

سنن محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (٥)

عد بعض الحفاظ أصول السنة خمسة يعني كتب البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود وعدها بعض آخر ستة بضم سنن ابن ماجه الى الخمسة السالفة وأول من فعل ذلك ابن طاهر المقدسي (٦) ثم الحافظ عبد الغني (٧) في كتاب الاكمال في أسماء الرجال وانما قدموا سنن ابن ماجه على الموطأ لكثرة زوائده على الخمسة بخلاف الموطأ . قال بعض المحدثين ينبغي ان يجعل السادس كتاب الدارمي فانه قليل الرجال الضعفاء نادر الاحاديث المنكرة والشاذة (٨) وان كان فيه أحاديث مرسلة وموقوفة . وقد جعل بعض العلماء كرزين السرقسطي (٩) سادس الكتب الموطأ وتبعه على ذلك المجد بن الاثير في كتاب جامع الاصول وكذا غيره

قال الحافظ المزي ان كل ما انفرد به ابن ماجه عن الخمسة فهو ضعيف ولكن قال الحافظ ابن حجر انه انفرد بأحاديث كثيرة وهي صحيحة فالاولى حمل الضعف على الرجال

شروح سنن ابن ماجه : شرحها كمال الدين محمد بن موسى الدميري الشافعي (١٠) في خمس مجلدات واسمى شرح الديباجة ولكنه مات قبل تحريره وشرحها ابراهيم ابن محمد الحلبي (١١) وجلال الدين السيوطي في شرحه مصباح الزجاجة وكذلك السندي وقد شرح سراج الدين عمر بن علي بن الملقن زوائده على الخمسة في ثمان مجلدات وسمى شرحه ما تمس اليه الحاجة على سنن ابن ماجه

(١) توفي سنة ٨٠٤ (٢) سنة ٨٠٤ (٣) سنة ٧٢٩ (٤) سنة ٧١٠ (٥) سنة ٢٧٣ (٦) سنة ٦٠٠ (٧) بعد سنة ٦٠٠ (٨) الحديث المنكر ما كان في سنده كثير الغلط أو غافل عن الاتقان أو فاسق والشاذ ما خالف فيه الثقة من هو أرجح منه (٩) توفي سنة ٥٣٥ (١٠) سنة ٨٠٨ (١١) سنة ٨٤١

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

باقي كتب السنة الصحيحة غير الكتب الستة

مما أسلفت يتبين لك ان الصحيحين لم يستوعبا كل الصحيح وكذلك الاصول الخمسة أو الستة وان كان الزائد عليها قليلا قال الامام النووي الصواب قول من قال انه لم يفت الاصول الخمسة الا النزر اليسير. وها نحن أولاء ندلي اليك بباقي الكتب الشهيرة الجامعة للصحيح في القرنين الثالث والرابع

فمنها صحيح محمد بن اسحاق بن خزيمة النيسابوري(١) وصحيحه أعلى مرتبة من صحيح ابن حبان تلميذه لشدة تحريه حتى انه يتوقف في التصحيح لأدنى كلام في الاسناد. ومنها صحيح أبي حاتم محمد ابن حبان البستي(٢) واسم مصنفه التقاسيم والانواع والكشف على الحديث منه عسر لانه غير مرتب على الابواب ولا المسانيد وقد رتبه ابن الملقن وجرد أبو الحسن الهيتمي زوائده على الصحيحين في مجلد وقد نسبوا لابن حبان التساهل في التصحيح الا أن تساهله أقل من تساهل الحاكم في مستدركه. ومنها صحيح أبي عوانة يعقوب ابن اسحاق (٣) وصحيح المنتقى لابن السكن سعيد ابن عثمان (٤) وسنن الامام الحافظ علي بن عمر البغدادي الشهير بالدارقطني (٥) والمنتقى في الاحكام لابن الجارود عبد الله ابن علي «٦» والمنتقى في الآثار لقاسم ابن أصبغ محدث الاندلس «٧»

كتب الاطراف

كتب الاطراف هي ما تذكر طرفا من الحديث يدل على بقيته وتجمع أسانيده اما مستوعبة أو مقيدة بكتب مخصوصة فمن ذلك

أطراف الصحيحين للحافظ ابراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي (٨) ولابي محمد خلف بن محمد الواسطي (٩) قال الحافظ بن عساكر وكتاب خلف أحسنهما ترتيباً ورسما وأقلهما خطأ ووهما. وهو في دار الكتب السلطانية أربع مجلدات — ولابي نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهاني (١٠) — وللحافظ أبي الفضل أحمد

«١» توفي سنة ٣١١ «٢» سنة ٣٥٤ «٣» سنة ٣١٦ «٤» سنة ٣٥٣ «٥» سنة ٣٨٥ «٦» سنة ٣٠٧ «٧» سنة ٣٤٠ «٨» سنة ٤٠٠ «٩» سنة ٤٠ «١٠» سنة ٥١٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ابن علي بن حجر العسقلاني وأطراف السنن الاربعة لابن عساكر الدمشقي (١) في ثلاث مجلدات مرتباً على حروف المعجم واسمه الاشراف على معرفة الاطراف وأطراف الكتب الستة لمحمد بن طاهر المقدسي (٢) جمع فيه أطراف الصحيحين والسنن الاربعة قال ابن عساكر في مقدمة كتابه الاشراف سبرته واختبرته فظهرت فيه أمارات النقص والفيته مشتملا على أوهام كثيرة وترتيبه مختل. لهذا عمل كتابه الاشراف ولهذا السبب أيضاً لخصه الحافظ محمد بن علي الحسيني الدمشقي (٣) ورتبه أحسن ترتيب واسم كتاب المقدسي اطراف الغرائب والافراد، وللحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزي (٤) أطراف الكتب الستة أيضاً وفيه أيضاً أوهام جمعها ابو زرعة أحمد ابن عبد الرحيم (٥) وقد اختصر أطراف المزي الذهبي (٦) كما اختصره أيضاً محمد بن علي الدمشقي الآنف ذكره ولابن الملقن الاشراف على أطراف السنة.

ولابن حجر اتحاف المهرة باطراف العشرة يعني الكتب الستة والمسانيد الاربعة في ثماني مجلدات. وقد أفرد منه تأليفه المسمى بأطراف المسند المعتلي يقع في مجلدين.

دور التهذيب بعد القرن الرابع

ان جمع السنن من أفواه الرواة والنظر في رجال الاسانيد وازالهم منازلهم وبيان عليل الحديث من صحيحه كاد ينتهي بانتهاء القرن الرابع كما انطفأت اذ ذاك جذوة الاجتهاد وركن الناس الى التقليد في الدين فاكثر الكتب التي نجدها بعد ذلك العصر سلكت مسلك التهذيب أو جمع الشتيت وبيان الغريب، أو نحت منحى الابداع والترتيب أو طرقت سبيل الاختصار والتقريب وجل من تكلم في الاسانيد بعد المائة الرابعة كان عالة على مادونه أئمة الحديث في القرون السالفة

ولا يسبقن الى ذهنك — وأنت النطن اللبيب — أنه لم يسبق القرن الخامس جمع وتهذيب فان ذلك قد وجد ولكن لم يشع شيوعه بعد القرن الرابع ونحن من سنتنا في هذه الرسالة مراعاة الامور الدائمة ولا نلتفت لليسير النادر

«١» توفي سنة ٥٧١ «٢» سنة ٥٠٧ «٣» سنة ٧٦٥ «٤» سنة ٨٤٢ «٥» سنة ٨٢٠ «٦» سنة ٧٤٨

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أهم الكتب الجامعة لمتون الحديث في دور التهذيب

الجمع بين الصحيحين قد جمع كثير من الافاضل بين صحيحي البخاري ومسلم ومن هؤلاء محمد بن عبد الله الجوزقي (١) واسماعيل بن أحمد المعروف بابن الفرات (٢) ومحمد بن أبي نصر الحميدي الاندلسي (٣) وربما زاد زيادات ليست فيهما وحسين بن مسعود البغوي (٤) ومحمد بن عبد الحق الاشبيلي «٧» وأحمد بن محمد القرطبي المعروف بابن أبي حجة «٥»

الجمع بين الكتب الستة قد جمع بينها عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي المعروف بابن الخراط «٦» وقطب الدين محمد بن علاء الدين المكي «٧» وكتابه مرتب مهذب

وأبو الحسن رزين بن معاوية العبدري السرقسطي «٨» في كتابه تجريد الصحاح ولكنه لم يحسن في ترتيبه وتهذيبه وترك بعضاً من أحاديث الستة فلما جاء أبو السعادات مبارك بن محمد المعروف بابن الاثير الجزري الشافعي «٩» هذب كتابه ورتب أبوابه وأضاف اليه ما أسقطه من الاصول وشرح غريبه وبين مشكل الاعراب وخفي المعنى وحذف اسانيده ولم يذكر الا راوي الحديث من صحابي أو تابعي كما ذكر المخرج له من الستة ولم يذكر من أقوال التابعين والأئمة الا النادر ورتب أبوابه على حروف المعجم وسماه جامع الاصول لاحاديث الرسول فجاء كتاباً فذا في بابه لم ينسج أحد على منواله فقرب الينا البعيد وسهل علينا العسير وهو بدار الكتب السلطانية المصرية في عشرة أجزاء صغيرة ولعل الله يسوق اليه من يبرزه الى عالم المطبوعات فيسدي بذلك الى طلاب الحديث معروفاً جميلا. وقد اختصر هذا الجامع كثيرون منهم محمد المروزي «١٠» وهبة الله ابن عبد الرحيم الحموي «١١» وعبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديبع الشيباني الزبيدي «١٢» وهو احسن المختصرات وقد طبع حديثاً بمصر ويقع في ثلاثة أجزاء ولابي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزبادي «١٣» زوائد عليه سماها تسهيل الوصول الى الاحاديث الزائدة على جامع الاصول وان في هذا وما قبله لغنية عن كتب الحديث الاخرى وكفاية

«١» توفي سنة ٣٨٨ «٢» سنة ٤١٤ «٣» سنة ٤٨٨ «٤» سنة ٥١٦ «٥» سنة ٥٨٢ «٦» سنة ٦٤٢ «٧» سنة ٥٨٢ «٨» سنة ٥٣٥ «٩» سنة ٦٠٦ «١٠» سنة ٦٨٢ «١١» سنة ٧١٨ «١٢» سنة ٩٤٤ «١٣» ٨١٧

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نقد مشروع تعميم التعليم الاولي

نشرنا في ج ٧و٨ من م٢١ تقريراً لمشيخة الازهر في نقد تقرير لجنة التعليم الاولي بوزارة المعارف لهذا المشروع . وقد طبع في هذه الايام تقرير آخر في شأن هذا التقرير لصديقنا عبد الله افندي أمين ناظر مدرسة المعلمين للتعليم الاولي في مديرية الجيزة وهو ممن طلب مراقب التعليم العام منهم ابداء آرائهم فيه وقد رأينا أن نقتبس بعض فصول هذا التقرير المفيدة ولما كان الفصل الاول منه قد عقد لنقد تسع فقرات بينت فيها اللجنة سوء حال التعليم العام في القطر المصري ووجه الحاجة الى تعميم التعليم الاولي رأينا أن ننشر أولا هذه الفقرات وهي التي انتقدها ونقفي عليه بنشر رأيه فيها وفي كل منهما فوائد ذات قيمة ثمينة لمن يعنيهم أمر التربية والتعليم . قالت اللجنة مخاطبة وزير المعارف :

الفقرات ٤—١٢ من تقرير اللجنة

٤ — ونعم ماقالت معاليكم في فاتحة جلسات هذه اللجنة حين بينتم أن « فشو الجهل بين جمهور الامة يؤثر تأثيراً سيئاً في حال البلاد ، وأن ضرره لا يقتصر على اضعاف الافراد وتأخيرهم بل يكون مانعاً كبيراً وعائقاً عظيماً في سبيل الرقي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ويقضي على أعظم ضروب الاصلاح في مهدها فلا تثمر ثمرتها مادام معظم من يشملهم نفعها لا يفهم حقيقتها ولا يدري كيف يستفيد منها »

(٥) والامثلة على ذلك كثيرة متوافرة في جميع فروع الاعمال الادارية لان الحكومة تضطر في جميع أعمالها الى أن تسبق بمراحل واسعة حال التعليم التي عليها جمهور الامة . فمنها:

في الزراعة : الوسائل التي تتخذ لمنع قلة محصول القطن — مقاومة دودة القطن ودودة اللوز — اتباع الطرق واستعمال الآلات الحديثة في الزراعة — ادخال أصناف جديدة من المزروعات في البلاد — توسيع نطاق التعاون في الشئون الزراعية — زيادة العناية بالحيوانات — توخي الطرق الفنية في استعمال الاسمدة الخ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في الصحة العمومية : نشر القوانين الصحية الاولية بين الناس فيما يتعلق بهم وبمنازلهم والبلدان التي يقطنون بها ـ تحسين حال المساكن ـ وضع تصميمات للمدن والقرى ـ تحرير أنظمة لتنظيف المدن والقرى ـ اصلاح موارد مياه الشرب ـ تقليل نسبة الوفيات في الاطفال ـ تحسين وسائل العناية بالنساء والاطفال من الوجهة الطبية ـ التدابير التي تتخذ عند انتشار الامراض المعدية وغيرها مما يستدعي السرعة في تداركه ـ استئصال شأفة الامراض المتأصلة في البلاد كالبول الدموي (البلهارسيا) والرمد

في الاشغال العمومية : المصارف ـ اصلاح البور من الاراضي ـ تعمير الاراضي غير المسكونة ـ انفاذ أوامر المناوبات وغيرها من أعمال الري

في التعليم : ترقية أبسط أنواع التعليم الزراعي والفني

في الامن العام: ضبط الجرائم والتبليغ عنها ويدخل في ذلك الرشوة ـ منع اجرام الاحداث وصيانتهم من الفسق ـ منع سم المواشي ـ مقاومة الهرب من الخدمة العسكرية والعمل على اصلاح الجيش والشرطة (البوليس) ـ اصلاح طرق الردع بالعقوبة ـ

في القضاء : انشاء محاكم الاخطاط وغير ذلك مما له أثر في اصلاح القضاء

في الادارة : توسيع سلطة مجالس المديريات والمجالس البلدية في ادارة شئون البلاد ـ توسيع نطاق الضرائب المحلية ـ الاستعانة في المسائل الفنية بمشورة المصالح الاميرية المختصة ـ الاحتياط لمنع نشوب الحريق بالقرى ـ اقناع الجمهور بفوائد التدابير التي تتخذها الحكومة كقانون خمسة الافدنة ونحوه ـ انشاء حلقات القطن ـ تحديد مقدار الاراضي التي تخصص بزراعة القطن ـ تسعير المواد الغذائية ـ انفاذ أوامر لجنة مراقبة التموين ـ قانون المستنقعات والبرك الخ

في الشؤون الاقتصادية : بث روح الاقتصاد والعمل على تقليل ديون الفلاحين ـ مقاومة كنز الاموال بلا تثمير ـ توسيع نطاق صناديق الادخار (التوفير) وأعمال المصارف (البنوك) التجارية ـ رفع شان الزراع والتجار المصريين حتى يستغنوا عن الوسطاء من الافرنج ـ ترقية الصناعات ـ تأسيس صناعات جديدة الخ

في الشؤون الاجتماعية : ترقية شان المرأة ـ الاهتمام بالاطفال ـ مقاومة الشحاذة والشرود (التشرد) ـ تحسين أحوال المعيشة في بلاد الارياف والترغيب فيها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذه أمثلة عدة — لانحتاج في سردها الى خبرة خاصة — وهي قليل من كثير من وجوه الاصلاح الاداري والاجتماعي التي تقوم بها الحكومة الآن . وجلي أن أول عامل يتوقف عليه نجاحها انما هو تحرير الشعب من ربق الجهل وانتشاله(١) من هوة الامية

(٦) وقد جاء في ملحق السير إلدن غورست بكتاب «انجلترا في مصر» تاليف اللورد ملنر بعد ان تكلم على عدم بلوغ الحكومة النجاح المنشود في بعض فروع الادارة ما ترجمته «على ان السبب الحقيقي يرجع الى ما هو أبعد من ذلك..... وليس هناك علاج ناجع دائم الا تراالنهوض بالشعب عامة وتهذيبه . وانما يكون ذلك بانتهاج خطة سديدة في التعليم سداها بعد النظر ولحمتها الخبرة السياسية» (صفحة ٤١٣)

(٧) وقال المسيو شارليتي مدير التعليم العام في تونس في خطبة ألقاها بمؤتمر افريقية الشمالية سنة ١٩٠٨ ما يأتي «ان التقدم الاقتصادي مرتبط بجميع شؤون الحياة على اختلاف أشكالها . بيد أن الناس لا يستطيعون الوصول الى هذا التقدم والانتفاع بمزاياه الا اذا تربوا تربية تسهل لهم فهم كنهه وتقربه من أذهانهم . فان مسالة التعليم من أدق الامور وأشقها وخاصة في بلاد يجب فيه قبل بلوغ أسباب الحضارة الحديثة اجتياز جميع مراحل الطريق الطويلة التي خلفتها عصور الجهل المطبق . فاذا لم يتيسر حل هذه المسالة حلا تاما فلا أقل من الاقتراب من ذلك الحل باتخاذ جميع الوسائل التي يتناولها التعليم والتهذيب والقدوة الحسنة»

٨ وقال الدكتور لورنس بولز الذي كان يشغل وظيفة نباتي بوزارة الزراعة في كتابه «مصر وطن المصريين» صفحة ٢١٤ ما ترجمته: «ان مالارض مصر من الخصب والقوة لايزال كامنا دفينا اذ هي لم تخط بعد خطوات تذكر نحو القيام بعملها الطبيعي وهو انتاج المحصولات الزراعية وارسالها الى العالم بأسره ..... ومما لايعتوره شك أن وادي النيل سيصير في يوم من الايام من أعظم الممالك الزراعية محصولا لان به من مختلف الاجواء ما يناسب كل نوع من أنواع المحصولات المختلفة باختلاف تربة الجهة التي تنمو فيها ويربطها جميعا نهر النيل الذي هو منبع وجودها ومصدر حياتها . ومن هذه البقاع ما ستبقى الزراعة فيه أزمانا طويلة الامد على الحال الفطرية التي تشاهد في الغابات . ومنها ما يرقى حتى ينتج أنفس المحصولات

(١) المنار: النشل والانتشال في العربية أخذ اللحم من القدر وله آلة عقفاء تسمى المنشال ويطلق النشل على أخذ اللحم عن العظام أيضا ويستعمله كتاب انجلترا ومثالهم من المعاصرين بمعنى الانقاذ من هلكة حسية أو معنوية ولهذا المعنى في اللغة كلمة فصيحة وهي الانتياش قال ابن دريد :

ان ابن ميكال الامير انتاشني ... من بعد ما قد كنت كالشيء اللفا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ونحن الى الآن لم نألف افتقار الاعمال الزراعية الى المهارة الفنية. غير أن مشاهدة ورقة بديعة من نسج هافانا أو الفلبين الذي يكفي الرطل منه لصنع خيط طوله ٢٠٠ ميل أو النباتات التي تزرع خاصة لاستخراج العقاقير الطبية تكفي لاقناع كل متردد في عظم فائدة المهارة الفنية في الزراعة وجليل اثرها . فالزراعة التي من هذا القبيل ـ أي الزراعة التي تحتاج الى مهارة فنية ـ لها في مصر من الاحوال الملائمة مالبس في مملكة أخرى . وقد يرى في بديهة الامر أن في هذا القول شيئاً من الغلو ولكنا لم نقله جزافا..... ولكي تنتفع مصر بهذه المزايا الطبيعية يجب أن يكون بها من العمال من يستطيعون أن يعملوا بعقولهم وأيديهم معاً ذلك لانكون مبالغين اذا قلنا بان حاجات المستقبل ستكون كفيلة بايجاد طائفة جديدة راقية من المصريين أي بايجاد شعب يجمع توقد القريحة الى ما كان لاجداده من قوة الاجسام» وليس هذا الانتقال المنتظر في المستقبل مقصورا على القطر المصري. فان وزارة المعارف الانجليزية تقول في رسالة عنوانها «مسألة المدارس الريفية» ان عصر القوى العضلية قد فات ونحن الآن في عصر انبثق فيه فجر العقول »

٩ — وقد قدم للحكومة أخيراً تقريران من لجنتين ألفتا بامرها : الاولى برئاسة حضرة صاحب المعالي اسماعيل صدقي باشا للنظر في توسيع نطاق التجارة والصناعة ، والثانية برئاسة جناب اللفتننت كولونل بلفور للنظر في تعديل نظام مصلحة الصحة العمومية بمصر. وجلي أن ضروب الاصلاح المقترحة في هذين التقريرين ستلقى في الخطوة الاولى من انفاذها عقبات كبيرة لجهل الناس غاياتها النبيلة

١٠ — فقد جاء في تقرير لجنة توسيع نطاق التجارة والصناعة ما يأتي : «ان ما سبق لنا ذكره من البيان المختص بالصناعات الصغرى المصرية لهو حجة قائمة وشاهد ناطق على ما بالبلاد من النقص الذي تئن منه أنين الثكلى وترزح تحت أثقاله . فان خلو الاعمال من النظام والترتيب واستهانة العمال باتقان عملهم من الامور الدالة على ضعف التعليم ونقص تهذيب الاخلاق ....

«فاذا سأل سائل ماحال القطر من حيث التعليم العام والتربية الخلقية كان الجواب ان أقل بحث في هذا الموضوع يكفي للحكم بأن مايتبع الآن من الخطط في التربية والتعليم في مصر يقصر عن الوصول بالبلاد الى الغرض السامي المقصود منهما وعن النهوض بها من الوجهة الخلقية . اذ مما لانزاع فيه مطلقاً أن التعليم لم يبر حتى الآن جميع طبقات الامة وأن التربية المنزلية لا تقتصر مساوئها على

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نقصها وتنكبها الغرض المنشود بل انها مبنية على أساس فاسد غير وطيد الاركان. فهي بدلا من تعويد النشء النظام وحسن التدبير تولد في نفوسهم الاسراف وسوء الادارة في الاعمال . وهي تبث فيهم روح الكسل والاهمال وتصرفهم عن الجد والنشاط . وهي تغرس فيهم التردد في الامور أو قلة العناية بها وعدم النظافة وما أشبه ذلك من النقائص التي تقف حجر عثرة في سبيل تقدم البلاد من الوجهة المعنوية وبذا تعوق تقدمها من الوجهة الحسية أيضاً

«ولما كان من واجب هذه اللجنة اقتراح جميع الوسائل التي تؤدي الى أقصى درجات الرقي الاقتصادي فهي تتشرف بلفت نظر الحكومة الى ضرورة الاسراع في انفاذ مشروعها المختص بتعميم التعليم الاولي وتوجيه مزيد العناية اليه . وترى اللجنة أيضاً أن من الواجب عليها التنبيه الى ضرورة بذل مزيد العناية بأمر التربية وتقويم الاخلاق واصلاح أحوال البيئة المنزلية خاصة فان تربية المرأة في هذا المقام من عوامل رقي الامة بأسرها»

١١ — وأوردت لجنة النظر في تعديل نظام الصحة العمومية قولا موجزاً في وصف الحال الحاضرة في مصر فقالت : «من المعلوم أنه لا يتيسر رفع شعب من الشعوب الى المنزلة التي فيها يعرف لنفسه حقها مادام الجو الذي يعيش فيه ملوثاً بالاقذار . فاننا اذا أجلنا النظر في أنحاء مصر وجدنا أن معظمها تعلوه الاوساخ وتحط فيه رحالها الاقذار . فهي كما كانت في قديم الزمان مملحة بالامراض على اختلافها ولا أمل في أن يقوم أهلها بما عليهم من رفع شأن بلادهم ما دامت الامراض تثقل عواتقهم وتخيم على رؤسهم . ان نسبة الوفيات في الاطفال رائعة فثلث أبناء الامة يموت وهو في سن الطفولة وغضارة الحياة . هذا الى أن انتشار الحشرات والهوام بين النلاحين لم يقل على الرغم مما ثبت حديثاً من أن القمل وسيلة لنقل التيفوس والحميات الراجعة التي تفتك بالاهلين فتكا ذريعاً»

وقد اشارت اللجنة بوجوب «شن غارة شعواء للقضاء على الجهل والقذارة واستئصال شأفة المرض والبؤس» ومما يلفت النظر أنها ذكرت الجهل أولا ولم تعلق أملا كبيراً على اصلاح الحال الصحية اصلاحا وافياً بالغرض بتلقين أسباب ذلك لمن بلغوا سن الحلم فقد قالت :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«فان الحقائق التي وقفنا عليها تدل دلالة واضحة على أن رجال فرقة العمال المصريين بعد أن يقضوا مع الجيش مدة يضطرون فيها الى مراعاة أنظمة صحية خاصة لا يكادون يرجعون الى مواطنهم بالقرى الا وهم عائدون الى سيرتهم الاولى . فتراهم لا يعمدون الى بث شيء في نفوس قومهم مما تعلموه من أسباب النظافة . وكفى بتاريخ الجيش المصري دليلا على أن ذلك ليس من الغرابة في شيء. فان الجندي المصري بالرغم من تدربه على النظام والترتيب ووقوفه تمام الوقوف على الطرق الصحية المتبعة في المعسكرات والثكنات لا يكاد يرجع الى قريته الا وهو مندمج في غمار عشيرته من الفلاحين فلا يمكن تمييزه منهم »

وختمت اللجنة قولها في هـذا المقام بأن أوضحت أن أنجع وسيلة يرجى منها إصلاح الحال لا تكون إلا بالبدء بتعليم الطفل « فان الطفل المتعلم قد يصبح أستاذا لوالديه غير المتعلمين ويكون بمثابة النواة الاولى التي تنبت منها على مدى الايام عوامل رقي الفلاح» .

١٢ — وقد نشرت جريدة (الاخبار) بعددها الصادر في ٢٨ ابريل سنة ٩١٧ مقالة بقلم صحفي مصري (علمونا القراءة أولا) وصف فيها الكاتب حال الفلاح المصري وصفا ممتعا لا يخلو من المبالغة و بين فيها أن مصر لا تحتاج الى جامعات جديدة بل الى نشر التعليم الاولي بين جمهور أهلها . قال ما نصه :

«السواد الاعظم من الامة المصرية من الفلاحين لا بسي الجلابيب الزرقاء وأكثر هؤلاء (والحمد لله) لا يعرفون القراءة والكتابة . أما الافراد القلائل المقيمون في عواصم القطر فلا يعتد بهم لقلة عددهم بالنسبة لمجموع الامة . فاذا أراد واحد من الفلاحين أن يكتب صكا أو جوابا لا يجد من يكتبه له فيضطر أن يسافر من قرية الى أخرى حتى يعثر بشخص يعرف كيف يفك الخط . وكتابة مثل ذلك الشخص لا يفك رموزها الا عالم من علماء الآثار القديمة كالعلامة شامبليون الذي تمكن من قراءة الخط الهيروغليفي :

(نحن المصريين لا نعرف من أصول الصحة شيئا . وكل من ذهب الى احدى القرى أو العزب يشتم قبل أن يصل اليها بضعة أميال الروائح الذكية (في أنوف عابريها) المتصاعدة من أكوام السماد القائمة كالاهرام الملونة صنع أجدادنا وهي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تحيط بالقرية أو العزبة من كل جهاتها . ويرى مجاري جامع القرية ذات المنظر الجميل تجري الى الترعة التي يشرب منها أهل القرية بدون اشمئزاز . ويرى شكل القرى الكئيب والمنازل المتلاصقة ذات الابواب الضيقة والغرف التي ليس بها منافذ ويرى الفلاح نائما هو وأولاده بجانب جاموسته لافرق بين الجميع .

« ومن المضحك المبكي أن اسم الدكتور عند الفلاحين كاسم عزرائيل عند المتدينين . فاذا أتى الدكتور الى بلدة ترى المرضى اختفوا بأسرع من لمح البصر إما أن يحملوا الى جهة في الغيط بعيدة أو يدفنوا في قش الارز أو حطب القطن المكوم على الاسطح . ولا يفهم الفلاح (طبعا) شيئا اسمه ميكروب أو عدوى . ومع أنه لاشيء أكثر من الماء عند الفلاحين تجد أكثرهم قذرا وسخا وكأنه يخشى أن يخلع ملابسه فتحملها تلك المخلوقات الشريفة وتهرب بها لكثرة مايقلقها بهرشه وكرشه فهو دائما أبدا في قلبها .

« ليس في الدنيا فلاح يحافظ على تقاليد الفلاحة القديمة من عهد قدماء المصريين أو من عهد أبينا آدم الا الفلاح المصري . فلو بعث فلاح من أيام الفراعنة لرأى أخاه فلاح اليوم لم يخن الامانة ولم يمد يده الى آلة من آلات الزراعة التي سلمها اليه بتغيير أو تعديل . فالمحراث والشادوف والطنبور والنطالة الخوص كلها بحالتها العتيقة كما تركها له . ووجده أيضا لم يغير شيئا من طرق الزراعة القديمة فلم يتفنن أو يجتهد ولم يحسن نوعا من أنواع المواشي أو المحاصيل ولا يزال طعمة التاجر والمرابي مهما سنت الحكومة من القوانين لحمايته .

« فهل ينتظر من هذا الفلاح وهو كل الامة المصرية أن يقبل على الجامعات التي تدرس الفلسفة والتاريخ او يقرأ الجرائد والمجلات العلمية أو يعلم ماتريد أن تعلمه اياه الحكومة بمنشوراتها ولوائحها ؟ فالى أي شيء تحتاج الامة المصرية إذن لترتقي وتعد في مصاف الامم الحية وماهو الدواء الذي يشفيها من مرض الجهل فتصبح أمة وكل فرد من أفرادها يعرف القراءة والكتابة فتتفتح أذهانها وتعلم وترتقي ؟

« (أظن أن كل فاضل من القراء يفهم ذلك الدواء) »

وهنالك جرائد مصرية أخرى ألحت على الحكومة مرارا وصاحت بوجوب الشروع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في تعميم التعليم الاولي والمسارعة الى ذلك حتى تستطيع أن تخطو فيه خطوات واسعة في القريب العاجل ». انتهى نص الفقرات القسم مع تصحيح عبارات قليلة صحفية من مقالة الاخبار ويليها ما كتبه عبدالله افندي أمين فيها وهو

التعليم الاولي والاصلاح

نقد الفقرات ٤ و٥ و٦ و٧ و٨ و٩ و١٠ و١١ و١٢

حاولت اللجنة في هذه الفقرات أن تقيم الادلة على ماجاء في الفقرة الرابعة منها من أن « فشو الجهل بين جمهور الامة يؤثر تأثيراً سيئاً في حال البلاد وان ضرره لا يقتصر على إضعاف الافراد وتأخيرهم بل يكون مانعاً كبيراً وعائقاً جسيماً في سبيل الرقي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ويقضي على أعظم شروب الاصلاح في مهدها فلا تثمر ثمرتها مادام معظم من يشملهم نفعها لا يفهم حقيقتها ولا يدري كيف يستفيد منها ».

***

ومراد اللجنة من هذا الكلام إقناع أولي الامر بوجوب الاسراع في تعميم التعليم الاولي فحسب . وهو مراد شريف جليل ، غير انه شغلها عما سواه فقاتها أن تقصير الاهالي في قيامهم بنصيبهم من اصلاح الحكومة الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لقصور مداركهم ، ليس أكبر من تقصير الحكومة نفسها وهي رشيدة عليمة وبينها وبين الشعب « هوّة لا تُسبر » (أنظر ١٤ و١٥) في قيامها بنصيبها وحدها من الاصلاح نفسه

ولا شك أن قواعد الاصلاح وأصوله كلها ماكان منها من عمل الحكومة وحدها وما كان منها من عمل الشعب وحده ، كسلسلة متصلة الحلقات يأخذ بعضها بأطراف بعض ويقوي بعضها بعضاً. فلو أن الحكومة كانت مثالا لشعبها فقامت بنصيبها من الاصلاح لكان لهم فيها أسوة حسنة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولتقرن هذا النصيب في نفوسهم سروراً عظيماً به وشوقاً الى القيام بنصيبهم من الاصلاح

ولو أن الحكومة أكثرت من مستشفيات الامراض ومستشفيات الارماد المتنقلة والثابتة وانشأت حمامات ومغاسل وأحواضاً لخزن المياه وترويقها في القرى لأقبل عامة الشعب على هذه المنشآت اقبالهم الآن وقبل الآن على ما أنشيء من مستشفيات الرمد وهو عظيم جداً ولآثروها على طب الشعوذة والتجارب الاهلية الناقصة الفاسدة وعلى الاستحمام وغسل الثياب في مياه الترع والمصارف الراكدة وعلى شرب ماء النيل المكر وأصلح ذلك من أجسامهم ونفوسهم وعقولهم أكبر اصلاح لما فيه من وسائل حفظ الصحة ومن الانصراف عن العادات السيئة والتجارب السخيفة والاعتقاد الفاسد فيها

ولو أن الحكومة قدرت مثلا مكافأة لمن يبتدع مادة رخيصة جداً اذا مزجت بالتراب جعلته صلباً صقيلاً ترصف به الارض وتيسر لها رصف الطرق الزراعية الرئيسية وغرست على جانبيها الاشجار الضخمة لدفعت عن الشعب عادية التراب وما يحمل من جراثيم الامراض المختلفة وأظلته فدفعت عنه حرارة الشمس، ولبعثت بذلك في نفوس الاهالي يقظة وانتباهاً لامور هم في أشد الحاجة اليها — انتباهاً لا يمكن أن يكون بالنصح والاوامر وحدها

ان وسائل تربية الشعوب وتهذيبها كثيرة جدا. وكثير من هذه الوسائل من عمل الحكومات وهي أقدر على القيام بها من الاهلي دون بها منهم. غير أن سكوت الحكومة وتراخيها وحاجة البلاد الظاهرة الى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العمل النافع فيها يدفع من لا يقوى على الانتظار من أبناء الامة العاملين المخلصين الى القيام بما تحتاج اليه البلاد غير ناظر ولا منتظر المسئول عنها، وان اعترضته في سبيلها العقبات من قبل استمداد الاهالي أو امتعاض الحكومات وحسبنا دليلا على ذلك ماقام به مجلس مديرية الجيزة المحترم من انشائه مستوصفين متنقلين في انحاء المديرية سنة ١٩١١م أيام رئيسه المفطور على الاخلاص والصراحة والغيرة والحزم والعزم والثقة بالنفس وحب الاصلاح حضرة صاحب العزة عبد الرحمن فهمي بك

أنشأ المجلس المحترم حينئذ هذين المستوصفين المتنقلين لما كان يتوقعه من الآثار الجليلة التي يتركانها في صحة الاهالي وأخلاقهم وعاداتهم وعقائدهم وما أعظم ماتركا من ذلك! فان الذين عولجوا فيهما يعدون بالالوف. ولعل مصلحة الصحة تذكر ذلك. وقد كانت أحق بهذا العمل منه غير أنها سكتت ولا تزال ساكتة حتى ملّ الانتظار ونفد الصبر

ان اللجنة تعلم علما يقينيا أن التعليم وحده لا يصلح النفوس. فقد نقلت في الفقرة (٢١) عن (المستر لكي) قوله «أجل ان التربية العقلية المحضة لا تحدث تغييرا أساسيا في خلق الرجال» وتعلم أن الامة لا تغير ما بها حتى تغير ما بنفوسها، فلا بد للحكومة الرشيدة التي توصف بأن بينها وبين عامة الشعب «هوّة لا تُعبَر» من أن تسعى جد السعي في البحث عن العلاج الناجح لتغيير شعبها ما بنفوسه — شعبها المخلص الذي ضربت له اللجنة مثلا الشعب الهندي اذ نقلت في الفقرة (١٩) من التقرير «وأعني بهم الملايين من الفلاحين الفقراء المساكين الصابرين الاذلاء متين»

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وما تلك الوسائل النافعة ؟ تلك الوسائل هي الاصلاح الفعلي كإنشاء المستشفيات وترويق المياه وغيرها، لا النصائح القولية والاوامر الكتابية التي لا تغير من نفس ولا تحي من عمل. لقد آن للحكومة الرشيدة أن تعدل عن الخطة المنيفة البالية وهي الامساك عن وسائل الاصلاح الفعلية خوف زيادة الضرائب ولو زيادة طفيفة تقدر بالمليم، وتعمد الى خطة المعلم الماهر والمربي الحاذق فتكون مثالا حسنا في الاصلاح لشعبها فتأخذ بنصره أخذاً صحيحا الى منازل النعم الحقيقية في الجسم والنفس والعقل من أقرب الطرق وأقومها وألا تظن أن نشر التعليم الاولي يكفي وحده لهداية الشعب وارشاده الى وجوه الاصلاح وحضه عليها من غير أن تقوم هي بالامثلة العملية منها فتوفي نصيبها من الاصلاح حقه

انها ان ظنت ذلك وعولت في كل ما تريد من وجوه الاصلاح على التعليم الاولي وحده وركنت اليه وألقت العبء كله عليه، خابت الآمال وضاع الوقت سُدًى

التعليم الاولي والعالي

علم الحاكمين وجهل المحكومين

نقد الفقرات ٢ و ٢٤ و ١٢٥

استكثرت اللجنة في الفقرة (١٢٥)[1] من التقرير ما ينفق على التعليم العالي

(١) [نص الفقرة ١٢٥] ليس الامر مقصورا على قلة مجموع الاعتمادات المخصصة بالتعليم بميزانية الحكومة بالنسبة لما في معظم البلاد الاجنبية بل ان معظم تلك الاعتمادات ينفق على التعليم الراقي الذي لا ينتفع به سوى طائفة صغيرة ممتازة من الامة لا تدفع سوى قسم ضئيل من النفقات التي يتطلبها تعليم أبنائها، أما سكان الاقاليم الذين تنوقف ثروة البلاد على كدهم ونصبهم فلا يكادون ينالون قسطا من التعليم في مقابل الضرائب

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بجانب ماينفق على التعليم الاولي. وانكرت في الفقرة (٢٤)[1] من الخطة التي انتهجتها الحكومة المصرية — وهي متبعة في البلاد من عهد المرحوم محمد علي باشا واضع أساس النهضة الحديثة لمصر ورافع لوائها — بتعليمها الطبقة

التي يقع معظمها على كاهلهم

واذا استثنينا الاعانة التي تمنح المكاتب في المحافظات ومديرية أسوان وقدرها ٧٣٠٠ جنيه وما ينفق على مدارس المعلمين والمعلمات الاولية الاربع وهو ٢٨٨٠٢ من الجنيهات وصافي ماينفق على المدرسة الاولية الراقية للبنين والمدرسة الاولية الراقية للبنات وقدره ٤٠٠٠ جنيه وصافي ما ينفق على ثلاثة المصانع (الورش) الاميرية وهو ١٨٠٠٠ جنيه والاعانة المخصصة ببعض مدارس صناعية غير تابعة للحكومة وقدرها ١٠٤١٠ جنيهات — اذا استثنينا كل هذه المقادير ومجموعها ٦٨٠٠٠ جنيه أمكن القول بأنه لم يدرج شيء في ميزانية الحكومة لسنة ١٩١٨ — ١٩١٩ لتعليم طبقات الشعب. على أن معظم هذه المقادير يصرف في مدينتي القاهرة والاسكندرية. ثم ان الثمانية والستين من آلاف الجنيهات التي تصرف في تعليم أبناء الشعب يقابلها ٤٩٠٠٠ جنيه تحصل من ايراد الاراضي والعقار الموقوف للانفاق على المكاتب الاهلية. أي أن ما تنفقه الحكومة في الحقيقة من ايراداتها الخاصة في كل سنة على تعليم الشعب نحو ١٩٠٠٠ جنيه فقط

[نص الفقرة ٢٤] قال المستر أسكويث «ان الحكم على مقدار رقي الامة وفوزها في مضمار الحياة يجب أن يبنى على مايتوافر لدى أدنا طبقاتها من الامور الحسية والمعنوية» ويرى أنه لم يبن الحكم على ماوصل اليه القليلون من خيرة أفراد الامة الذين ضربوا في التعليم الراقي بسهم. فاذا أردنا الوقوف على مايتوافر لدى أدنى طبقات الامة المصرية من الامور الحسية والمعنوية وجب علينا أن نلقي نظرة الى انتشار الاكواخ الحقيرة المبنية من الطين التي تضم بين جدرانها الانسان وبهيمته والى شيوع القذارة والاوساخ وفشو العال والامراض وهلاك ثلث الابناء في طفولتهم وانتشار الامية بحال رائعة تعادل ٩٦ في المائة من السكان وضيق المجال أمام الافراد واقتصار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الراقية للأمة التعليم العالي قبل تعليمها عامة الشعب (التعليم الاولي بلا شك) وعدت عملها هذا عملا مقلوبا وضربت لذلك مثلا قول (السير كلنن دوكنز) في الفقرة (٢)[1] «ان التعليم الاولي في مصر شبيه بهرم مقلوب رأسه الى أسفل »

كدم على القوت اليومي . فهل الى ترقية تلك الاحوال في الامة المصرية من سبيل سوى تعميم التعليم؟ لا . ومن العبث الاعتقاد بأنه يمكن الوصول الى الرقي المنشود بالبدء بتعليم الطبقات الراقية قبل عامة الشعب أو بالاعتماد على ما يحدث من التأثر الذي ينشأ من اختلاط الطائفة القليلة المتعلمة بطبقات الشعب الجاهلة بل ان الضرورة تقضي بالنهوض بالتعليم العام وتتطلب نشر نور العرفان في الامة بأسرها .

قال الشاعر برونتج في قصيدته المعنونة براسلس ما معناه بالعربية

كتبت على لوح الحقيقة حكمة ... ان الرقي شريعة الاحياء
مالي أرى الانسان يغمض عينه ... عن نور تلك الحكمة الزهراء
أنجد حتى صار أهلا لاسمه ... ان حق فخر الناس بالاسماء
أم نال ما تصبو اليه طباعه ... من درك أعلى ذروة العلياء
أم أعمل المكنون من قواته ... كي يملأ الدنيا من النعماء
أني يتوج بالكمال ولم يزل ... في العلم معظمه من الفقراء
وكأن أهل العلم بين سواده ... بعض النجوم الزهر في الظلماء
أو بضعة من نسل هوج حولهم ... جسم من الاقزام والضعفاء

١)[نص الفقرة ٢] لم يعزب عن أذهاننا من بادئ الامر أن الموضوع يتضمن اعتبارات عدة عظيمة الشأن . فقد قال اللورد مورلي العالم والسياسي الشهير : « ان مسائل التعليم الاهلي كيفما تنوعت طرق حلها ذات اتصال بحياة الامم وفنائها » وقال اللورد كرزن أيام كان حاكما على الهند : « ان طبيب الامة الحقيقي هو ذلك الذي يصف لها أنجع وسيلة لتربية أبنائها » . وتناول كل من اللورد كرومر في كتابه « مصر الحديثة »

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فكان هذا الاستكثار من اللجنة مع ذلك الانكار المقرون بهذا المثال فصالا حادة تتناولها الحكومة اذا شاءت ومتى شاءت لتخزبها التعليم العالي وأدلة واضحة جلية على أن الاقاويل والآراء التي نقلتها اللجنة الى تقريرها عن كبار المستعمرين قد تركت فيها أثراً جعلها ترى التعليم العالي بعين جنبية لا تستطيع أن ترى بها محل الحاجة وموضع النفع .

وان من يحسن الظن باللجنة كل الاحسان – مثلي – لا يجد لها فيما يتلمس من المعاذير الا عذرا واحدا وهو ما يخيل الى المفكر في أول الامر من أن البدء بتعليم الولد الصغير التعليم الاولي ثم التنقل به بعد ذلك في مراحل التعليم الارقى موافق سنة النشوء والارتقاء . أجل ان ذلك حق واضح . لكن لا بد معه للولد من وصي رشيد يقلبه كيف يشاء وينقله من حال الى حال كما يريد . وان ذلك الوصي الرشيد يجب ان يكون منه

والسير ألدون غورست في الملحق الذي ذيل به كتاب اللورد ملنر وهو « انجلترا في مصر » البحث في وجوب اتباع خطة سديدة في التربية ترمي الى تحسين حال الامة عامة من الوجهتين العقلية والخلقية (انظر الفقرتين ٦ و١٥) . وقال السير كانتن دوكنز في ملحقة لكتاب اللورد ملنر (صفحة ٣٩١) : « ان التعليم بمصر شبيه بهرم مقلوب رأسه الى أسفل » . والحقيقة أن حال مصر المالية كانت الى عهد قريب تمنع من اعداد وسائل التعليم على اختلاف فروعه ومن سد حاجة الامة اليه سدا وافيا وقد أوثر انفاق ما يمكن بذله من المال في هذه السبيل على توسيع نطاق التعليم ذي الصبغة الاوربية الذي يتلقاه أبناء الاغنياء . فكانت النتيجة أن تعليم العامة لم يوجه اليه من عناية أولي الامر الا النزر اليسير . لذلك رأينا أن واجبنا غير مقصور على درس موضوع التعليم الاولي من حيث كونه مسألة قائمة بذاتها منعزلة عن سواها وانه لا بد لنا من مراعاة ارتباطه بالخطة القويمة التي نتبع في التعليم بوجه عام .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ليكون اخبر بحاجاته ومنافعه ومضارّه

وان الامة لكذلك يجب ان يكون فيها ومنها ناس كبار العقول يقودونها الى السعادة ويرفعونها الى اوج العظمة . لذلك كان تعليم طبقة راقية من الامة علما راقيا قبل تعليم عامة الشعب العلم القليل موافقا لسنة النشوء والارتقاء في الامم ، وقد ضرب لنا التاريخ امثلة كثيرة قديمة وحديثة دالة على ان أمما كثيرة نهضت من عثارها ونشطت من عقالها بأفراد منها . فالعناية بتكوين افراد افذاذ في الامة تكوينا فائقا احق واولى بالتقديم من تعليم عامة الشعب تعليما اعظم مايقال فيه انه اولي

هذا ما نراه ونشعر به ولم يسعدنا الحظ قط بان سمعنا او قرأنا ان امة بأسرها امسكت عن التعليم العالي جملة حتى تعلمت كلها التعليم الاولي ثم اخذت بعد في اسباب التعليم العالي ، وان اوتيت اوصياء حكماء رحماء بصراء اقوياء من الاجانب

على ان التعليم العالي لا يزال جنينا في بلادنا ، فأين بضع مدارس اميرية عالية تدرس فيها بعض العلوم العالية من جامعات كبيرة تدرس فيها كل علوم البشر ! مع ان العلم الذي يدرس في مدارسنا العالية لم يكن له في البلاد من اثر ظاهر نافع الا ماكان من علم الطب

لقد كان للجنة التي رأت حاجتها الشديدة الى النظر في التعليم بوجه عام (انظر آخر فقرة ٢) ان تفتش عن حل آخر لإمكان تفرغ الحكومة للتعليم الاولي . ذلك بأن ترى مثلا ان في وسع الحكومة ضم مدارسها العالية الى مدرسة جامعة وتأليف مجلس ادارة لها يؤلف من رجال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الحكومة والامة وان تشترك الحكومة والامة معاً في النفقة عليها على نحو الخطة التي خطتها للتعاون بين الحكومة والهيئات النيابية في التعليم الاولي فيكون دراجة لنقل التعليم العالي كله من يد الحكومة الى يد الاهالي فتتفرغ الحكومة كل التفرغ للتعليم الاولي ولا تشغل نفسها بمهامة لها كما جاء في الفقرة (١٣٠)

اما الهوة السحيقة التي لا تعبر بين المحكومين والحاكمين كما ترى اللجنة في الفقرتين (١٤و١٥) فالذي حفرها انما هو التربية المدرسية لا العلم ذاته. فان الولد الذي يُنتزع من حضن أمه وأبيه وينزع عنه زي بلاده ويلبس الزي الغربي ويدفع الى مدارس قد صبغت بالصبغة الغربية (فقرة ٢ وفقرة ٨٨) فيُعَمَّر فيها طويلا لا تقع عينه فيها الا على كتب سداها ولحمتها الروح الغربي ومعلمين غربيين او ممن خلعوا عنهم رداء الوطنية الصحيحة من قبل، فيشب على عادات واخلاق تزهّده في أمه وأبيه وسائر مماشريه كما تقول اللجنة في الفقرة (١٧) وتبعث فيه الغرور بنفسه. وما أبعد الشقة وأعمق الهوة بينه وبين أهله لو أتيح له أن يتم الدراسة في الغرب فيقيم فيه ردحا من الزمن يفقد فيه لضعفه البقية الباقية له من سجاياه الوطنية حتى المحمودة منها!

هذه حال نشاهدها كل يوم في اكثر الشبان والشواب وقد نسوا جميعا معارفهم وعلومهم وبقي لهم من طرق التربية المدرسية اسوأ ما فيها واردؤه فليست الهوة السحيقة البعيدة الغور بين الطبقة الراقية من المتعلمين وبين عامة الشعب من تفاوت بينهم في العلم بل من نقص في تربية الطبقة الراقية النفسية التي شوهت بتربية لا تلائم تقاليدنا وأمزجتنا وعاداتنا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ـ ـ بنا دليلا على ذلك ما نجده فمن يتخرجون في مدرسة المعلمين الناصرية ويرجعون الى أوربا بعد أن يكونوا قد صبغوا بصبغة وطنية محضة فانهم يعودون وهم الى آلهم وعاداتهم وتقاليدهم أقرب منهم إليها قبل أن يغادروا بلادهم لان العلم وسعة العقل والمدارك من شأنها أن تنزع من نفس العاقل الوساوس والاوهام والخطأ الذي يدفع بكثير من ناقصي العلم والمدارك الى استصغار هم أوطانهم وآلهم، وإكبارهم الغرباء وكل ما هم عليه لسبق أحرزوه في شيء من العلم والمدنية، حتى تعمى عليهم الحقائق ويخلط عليهم الحابل بالنابل ويلبس الحق بالباطل

هذا هو السبب الحقيقي في الهوة بين الطائفتين لا العلم العالي الذي تخشى اللجنة انتشاره قبل التعليم الاولي . وانا ارجو بعد ذلك أن يكون هذا الخوف قد زال

* * *

حضرت مرة مجلسا جمعني بفتى ظريف وبأبيه وعمه وطائفة من اقربائه وكان هذا الشاب في زي ظريف ويحمل عصا ونظارة ودبوساكلها من ذهب وأعجب من هذا وذاك انه يلبس سوارا من ذهب بساعة من ذهب . وقد جلسنا طائفتين : احداهما فيها أبوه وعمه وناس آخرون ، والاخرى فيها هذا الفتى وكاتب هذه السطور وابن عم له اكبر منه سنا ومقاما . وكان هذا الفتى على أبواب السفر الى أوروبا وقد ضرب له ابوه على نفسه ثلثمائة جنيه في كل سنة يتسلمها بيده وينفقها كيف يشاء وفيما يريد . وهو مع ذلك يراه مقداما هيابا . وكنا اذا فتحنا عليه باب النصيحة والارشاد حاول إغلاقه واستخف بأبيه وهو على مسمع ومرأى منا لاشيء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

آخر سوى الفرق بين زيه وزي أبيه والنزعات النفسية فيهما. أما المعارف والعلوم فهو منها خالي الوفاض بادي الانقاض قد نسي تلكم القشور التي قد حصلها منها.

فمثل هذا سيعود من أوروبا وقد قطع آخر خيط يربطه ببلاده كلها لا سيما اذا عاد وبيده شهادة. وأي خير يرجى من مثله لبلاده؟ وأين هذا الشاب المسكين المغرور بنفسه من شاب تعلم في مدرسة صبغت بصبغة وطنية كمدرسة المعلمين الناصرية مثلا وأتم الدراسة فيها ثم سافر الى أوروبا؟

الخيال في الشعر العربي

٢

التخييل التحضيري

تتداعى المعاني بوسيلة التذكر للاسباب التي كنا بصدد البحث عنها، ثم المخيلة تنتخب منها ما يناسب الغرض، وهذا العمل اعني الانتخاب يسميه علماء النفس تخييلا تحضيريا لانه العمل الذي تتمكن به المخيلة من استحضار المناصر المناسبة للمرام

تقتصر المخيلة عند الانتخاب على ما يدعو اليه الغرض حتى انها تأخذ الجسم مقطوعا من بعض الاعضاء التي لا مدخل لها في المعنى فتتصور الجواد بغير قوائم كما قال المتنبي

اتوك يجرون الحديد كانما اتوا بجياد ما لهن قوائم

والعقرب بغير ذنب كما قال ابو هلال

تبدو الثريا وأمر الليل مجتمع كأنها عقرب مقطوعة الذنب

وربما انتزعت العضو من بين سائر الجسم كما أخذ ابن هانئ اليد فقال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولاحت نجوم للثريا كأنها خواتيم تبدو في بنان يد تخفي

وأخذ ابن المعتز القدم فقال

وارى الثريا في السماء كأنها قدم تبدت من ثياب حداد

واخذ آخر القلب فقال

نقل الجبال الرواسي من مواطنها أخف من رد قلب حين ينصرف

التخييل الابداعي

بعد أن تنتخب المخيلة ما يليق بالغرض من العناصر تتصرف فيها بالتأليف الى أن ينتظم منها صورة مستطرفة، ويسمى هذا التصرف تخييلا ابداعيا أو اختراعيا

ويجري هذا التخييل في التشبيه والاستعارة وغيرها

فالتشبيه قد تحذف اداته كما في قول النابغة

فانك شمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وعمل الخيال فيه هو احضار صورة المشبه به أعني الشمس والكواكب والماء وجوه التباين بينها وبين المشبه أعني الممدوح وبقية الملوك حتى يدعى اتحادهما ويصح الاخبار بأحدهما عن الآخر، وبني على هذا الادعاء أن ليس للملوك مظهر ولا تقوم لهم امام هذا الملك سمة فان الكواكب يتقلص ضوءها ويغرب عن العيون مشهدها عند ما تتجلى الشمس في طلعتها الباهرة

واما ما تذكر فيه اداة التشبيه فلا استطيع أن أعده في قبيل الخيال جملة كما اني لا أعزله عنه في كل حال، فان كان فيه اخراج المعقول في صورة المحسوس او المحسوس في صورة المعقول أو اخراج الخفي الى ما يعرف بالبداهة أو اخراج الضعيف في الوصف الى ما هو أقوى فيه فتصح اضافته الى الخيال اذ له الاثر القوي في تقريره

وأما عقد المشابهة بين أمرين متفقين في وجه الشبه من غير تفاوت كالتشبيه الذي يساق لبيان الاتحاد في الجنس أو اللون أو المقدار أو الخاصية فلا يصح نسبته الى الخيال الشعري وان وقع في كلام مقفى وانما هو مما ينظر فيه الباحث عن الحقائق كالفيلسوف أو اللبيب

فلو اتفق ان وقف فتى بجانب ظبي وانطلقا في فسيح من الارض ولم يفت أحدهما صاحبه قيد شبر فبدا لك أن تتحدث عنهما فقلت ولو في نظم «كان فلان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في سرعة عدوه كالغزال » لم يكن في هذا التشبيه شيء من الخيال لان عقد المشابهة بينهما في هذا الحال يشاركك فيه كل من شاهد الواقعة ، وانما يمتاز التخيل بمثل قول الشاعر

وفي الهيجاء ماجربت نفسي ولكن في الهزيمة كالغزال

حيث ان الخيال بحث عن صورة المشبه به وهو الغزال وانتقاها من بين سائر الصور المتراكمة في الحافظة ثم تصور انطلاق المنهزم وهو الشاعر نفسه وبالغ في مقدار سرعته الى أن وقع التشابه بينه وبين الغزال

وان أردت أن تفرق بين التشبيه الذي يدخل في التخيل والتشبيه الذي هو عائد عن طريقته فانظر الى قول المجنون

كأن القلب ليلة قيل يغدى بليلى العامرية أو يراح

قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

فترى الخيال هنا قد تجول حتى تصيد معنى القطاة ووقع على الشرك ثم انتزع منهما هذه المعاني وهي وقوع القطاة في الشرك وعلوق جناحها به ومعالجتها له كي تتخلص منه وضم بعضها الى بعض فانتظم ذلك المعنى المركب وانعقدت المشابهة بينه وبين حال القلب الذي وقع في حب العامرية فاخذ يرتجف وجلا من لوعة الفراق

ولو نظر شاعر الى ازهار مفتحة بمكان منخفض من الارض وقال مثلا

هذه الازهار في منظرها وشذاها مثل ازهار الربا

لاستبردت شعره لاول وهلة وأخذت تهزأ به كما هزأت بقول الآخر

كأننا والماء من حولنا قوم جلوس حولهم ماء

بيد أن ذلك التشبيه نفسه لو يصدر من العالم بالنبات في الرد على من يدعي ان هذه الازهار ليس لها لون ولا نفحات عاطرة كالازهار التي تنبت على الربا لاصغيت اليه سمعك وتلقيته منه بكل وقار. وما ذاك الا لان الاول قاله بوصف كونه شاعراً ولم يأت فيه على عادة الشعراء بشيء من التخييل وأما الثاني فانما القاه اليك في صدد البحث عن الحقيقة فلا تنتظر منه أن يصله بشيء من عمل الخيال

والاستعارة يصنع فيها الخيال مايصنع في التشبيه المجرد من الاداة الا أنها تعرض عليك المشبه في صورة المشبه به على وجه أبلغ ولا سيما اذا أضيف اليها بعض معان عهد اختصاصها بنوع المشبه به أعني مايسميه البيانيون ترشيحاً ، ومن أبدع مانسج على منوالها قول البارودي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من النفر البيض الذين سيوفهم لها في حواشي كل داجية فجر
اذا استل منهم سيد غرب سيفه تفرعت الافلاك والتفت الدهر

أراد الشاعر وصف قومه بأنهم أولو الصرامة التي تفرج الكرب المدلهمة والسطوة التي يرهبها كل خطير فساق اليك هذا الغرض في صورة تنظر منها الى سيوفهم كيف تجرد حول الليلة الفاحمة فيسطع الفجر الواضح في جوانبها، وترى فيها الحسام الواحد كيف يسل من جفنه فترتعد الافلاك ذعراً ويلتفت له الدهر حذراً خيل اليك أن الداهية ليلة ظلماء، وأن الفرج الذي ينبعث من مطلع سيوفهم صبيحة غراء، وعبر عن الأولى باسم الداجية وعن الثانية باسم الفجر وهذا التعبير الملوح الى ذلك التخييل هو الذي يعنيه البيانيون بقولهم استعارة مصرحة

ثم خيل الفلك في صورة من له قلب يفزع والدهر في صورة من له وجه يلتفت، والتصريح باسمهما بعد هذا التخييل يدخل به الكلام فيما يطلقون عليه لقب الاستعارة بالكناية، ويمكنك أن تفهم الفجر في البيت بمعنى لمعان السيوف وتألقها المشاهد بالابصار على نمط قول بشر

سللت له الحسام فخلت أني شققت به لدى الظلماء فجرا

ولكنك تضيم من يدك ما أفاده الوجه الاول من أن النجدة في جانبها، والنفر مقرون بظالمها، اذ لا يلزم من لمعانها في حواشي الداجية أن تلمع في لبتها وتقلبها بالفوز عليها الى صبيحة مسفرة (١)

(المنار) هذان البيتان من قصيدة للبارودي يعارض بها رائية أبي فراس المشهورة «أراك عصي الدمع شيمتك الصبر» وقد أشرنا اليها في ترجمته من مجلد المنار السابع وذكرت البيتين وعلقت عليهما بعبارة لا بأس بذكرها هنا لانها في الاشارة الى ما فيهما من الخيال وهي:

ويالله ما أرق حاشية قوله «لها في حواشي كل داجية فجر» وما أدق غزل خياله فيه. وأما البيت الثاني فانه ليكاد يروع ببلاغته السامع حتى يخيل اليه أن الأفلاك تصدعت مما تفزعت فيلمس رأسه مخافة أن يصيبه كف منها ويتمثل له الدهر رجلا فجئه العجب، فالتفت الى السبب، وليكاد يلفته ما يتخيل من التفات الدهر ما يلم به الدهش والذعر، او يذهب به الوهم الى ان التفات الدهر هو التفات أهله فيحسب كل فرد من الناس قد ألوى عنه وشخص ببصره منتبذ يسأل ما يكون من فعل ذلك السيف المسلل في يد ذلك البهمة الامثل، وجملة ما يقال في البيتين ان السحر الذي يأخذ المرء عن نفسه، ويحكم سلطان الخيال في عقله وحسه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن التخييل الذي لا يدخل له الشاعر من طريق تشبيه أو مجاز ما تشهد لصاحبه بالحذق في الصناعة وأنت تشعر بانه عرض عليك الموهوم في حلية المعقول كقول الطائي

ولا يروعك ايماض القتير به فان ذاك ابتسام الرأي والادب

أخبر عن الشيب بانه ابتسام الرأي والادب اللذين هما محبوبان ومحترمان لكل أحد ابتغاء ان تأنس العين لرأيته ولا تنظر اليه نظر الازدراء به، وليس هذا من قبيل التشبيه اذ لم يكن للرأي والادب ابتسام يمهده السامع حتى يقصد الشاعر الى تشبيه الشيب به بل أراد أن يخيل لك أن الشيب ابتسام في الواقع ولهذا تجد في نفسك ما يناجيك بان صورة هذا المعنى غير مطابقة للحق وان استحكم تأليفها ودق مأخذها

ومنه ما يستلحه الذوق ويسمه نظر المحقق وتجد هذا في قول زهير

لو نال حي من الدنيا بمكرمة أفق السماء لنالت كفه الافقا

فهذا البيت لم ينسج على منوال تشبيه أو مجاز، وليس لك أن تطرحه من حساب التخيلات المقبولة، وبلوغ كف الممدوح الافق لا يتفق مع النظر الصحيح غير أن تعليقه على حصوله لانسان من قبل وايراده عقب حرف الشرط الدال على امتناعه قد خلصه من زلة الكذب وجعله في منعة من أن ينبذه العقل الى القضايا الوهمية

فنون الخيال

يتصرف الخيال في المواد التي يستخلصها من الحافظة على وجوه شتى، ولا يسع المقام استيعابها وتقصي آثارها فنلم لك بمهماتها وما يصلح أن يكون بمنزلة أصل تتفرع عليه تفاصيلها

أحدها تكثير القليل كقول عمرو بن كلثوم

ملأنا البر حتى ضاق عنا وظهر البحر نملاه سفينا

فانه اطرد في حلية الفخر حتى وصل الى التعبير عن منعة الجانب، والسطوة التي لا يفوتها هارب، فخطر له أن يثبت له ولقومه من القوة ووسائل الفوز ما يرهبون به عدوهم فذكر انهم ملأوا البر جندا حتى لم يبق فيه متسع ويملأون ظهر البحر بالمنشآت من السفن ليدل بهذا على انهم لا يبالون بالعدو من أي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ناحية هجم ولا يتعاصى عليهم ادراكه في أي موطن ضرب بخيامه

والذي صنع خيال الشاعر في هذا البيت انه تجاوز في الاخبار بكثرة قبيلته وسفنه حد الحقيقة وتطوحت به نشوة الفخر الى أن تخيل ان البر قد غص كما تغص الثكنة بجنودهم وان البحر يتموج بسفنهم كموج السماء المصحية بكواكبها الزاهرة

ومنها — تكبير الصغير كقول بشر يصف وقعة الاسدحين قسمه بالضربة القاضية على شطرين

فخر مضرجا بدم كأني هدمت به بناء مشمخرا

فقد تخيل عند ماسقط الاسد الى الارض دفعة انه أتى الى بناء شامخ ونقضه من أساسه فانقضت أعاليه على أسافله ، فالخيال هو الذي بلغ بجثة الاسد الى أن جعلها في العظم بمقدار بناء ارتفعت شرفاته حتى اتخذت من السحب أطواقا

ومنها — تصغير الكبير كقول المتنبي

كفى بجسمي نحولا أنني رجل لولا مخاطبتي اياك لم ترني

وقوله ولو قلم ألقيت في شق رأسه وخط به ما غير الخط كاتب

فالسب وان تقلب على فراش الهجر أمدا طويلا وأكل الوجد من لحمه حتى شبع وشرب من دمه حتى ارتوى لا يصل في نحافة الجسم الى أن يسعه شق رأس القلم أو يخفى عن عين الناظر اليه وان كانت عشواء وانما هو الخيال أخذ يستصغر ذلك الجسم حتى ادعى في البيت الاول ان مخاطبته للناس هي التي تهديهم الى مكانه فيبصرونه، ولولاها لبقي محجوبا عن أبصارهم وان وقف قبالتهم، وادعى في البيت الثاني أنه لو وقع في شق اليراعة وانطلقت به اليد في الكتابة لاستمر الخط بحاله

ومنها — جعل الموجود بمنزلة المعدوم كقول المتنبي

ومطالب فيها الهلاك أتيتها ثبت الجنان كأنني لم آتها

وصف نفسه بالاقدام على مواقع الردى واقتحام الاخطار بجنان ثابت وعزم لا يتزلزل حتى تخيل لقلة المبالاة بها وعدم الفزع لملتقاها انه لم يكن قد خاض غمارها، ورآها كيف تنشب أظفارها، وانما نشأ هذا الخيال من جهة أن المطلوب المدلهمة لا يسلم من روعتها والدهشة لوقعتها في مجرى العادة الا من حاد عن ساحتها، وجذب عنانه عن السير في ناحيتها،

ومنها — تصوير الامر بصورة حقيقة أخرى ، ولها في هذا المقام أربعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أحوال المحسوس (تخييل المحسوس في صورة المحسوس كما في قول زهير

بكرن بكورا وقد تمشت حميا الكأس فيهم والفناء

فصرن بهم فمن مصيب مقاتلهم ولم تهرق دماء

فهذا الشعر يصورلك من دارت نشوة السكر والفناء برؤسهم، فاجهزت على البقية من شعورهم، في صورة قتلى لم تهرق دماؤهم، بل زهقت نفوسهم بمثل خنق أو سقاء سم دب دبيب الخمر في مفاصلهم

(ثانيها) تخيل المعقول في صورة المحسوس كما في قول الشاعر

مررت على المروءة وهي تبكي فقلت علام تنتحب الفتاة

فقالت كيف لا أبكي وأهلي جميعاً دون خلق الله ماتوا

تصور المروءة في زي فتاة فتسنى له أن يسند اليها البكاء ويعقد بينه وبينها هذه المحاورة

(ثالثها) تخيل المعقول في معنى المعقول وهذا كمن تخيل المذلة في معنى الكفر فقال

أمطري لؤلؤا جبال سرنديب وفيضي أجبال تكرور تبرا

منزلي منزل الكرام ونفسي نفس حر ترى المذلة كفرا

(رابعها) تخيل المحسوس في صورة المعقول، وهذا لم نعثر له على مثال في كلام العرب ولكن التشبيه الذي هو أساس هذا الفن قد جرى في كلام المولدين بايراد المحسوس في معرض المعقول كقول التنوخي

فانهض بنار الى فحم كانهما في العين ظلم وانصاف قد اتفقا

وقول الفاروقي

تمزمع الاتراب بالخيف من منى مرور المعاني في مفاوز أفكاري

وقد يعمد الشاعر الى بعض المعاني وينفيه عن أفراده المعهودة و يثبته لأفراد مفهوم آخر وتجد هذا في قول بعضهم

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء

انما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء

فقد نفى أن يكون من قضى نحبه ميتا وأطلق اسم الميت على من فاضت نفسه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كآبة وضاق صدره يأساء على طريقة القصر بدعوى أن المعنى الذي علق عليه الواضع اسم الميت انما يتحقق فيمن يعيش في نكد وبلاء لا يرجو خلاصا منه، والذي أخذ به الى هذه الدعوى ما تخيله من أن خواص الراحل الى القبر وهي مفارقة ما كان يتمتع به من طيبات الحياة وانقطاع أمله منها ونكث يده من العمل فيها توجد باجمعها في الكئيب اليائس من صفاء العيش بأشد مما توجد فيمن ركبوا على مطية المزن لانه يزيد عليهم في الشقاء بأنه يصلى نار الحسرة والاسف بكرة وعشيا

وقد يكون الامر مربوطا بعلة محققة ظاهرة فيضرب عنها ويخترع له علة من عنده ونجد هذا في قول أبي العباس الضبي

لاتركنن الى الفرا ق فانه مر المذاق
فالشمس عند غروبها تصفر من فرق الفراق

ادعى ان العلة في الاصفرار الذي يبدو على وجه الشمس حين تتدلى الى الغروب وتنطفىء جمرتها انما هو الوجل والهلع من مفارقة الناس الذين طلعت عليهم ذلك اليوم حيث اتصلت بينهم وبينها فيما يزعم عاطفة ألفة وايناس

ومما صنعت على هذا النمط وقد أخذ البرد يتساقط في حديقة

هز النسيم غصون الروض في سحر كما يهز بنان الغادة الوترا
لذ(؟) الخفيف على اذن السحاب أما تراه يحنو على أدواحها درا

وقلت وقد أخذت الريح تنسف في روض

قام هذا الروض يشدو مادحا بلسان البلبل الراعي سحابا
وتنادى غاليا في مدحه فحثت في وجهه الريح ترابا

وقلت في حال أشجار تراكم عليها الثلج ثم ضربت فيها الشمس فاخذ يتقاطر عن جوانبها

نسج الغمام لهذه الاشجار من هزل الثلوج براقعا وجلابيا
والشمس تبحث في الضحى باشعة تسطو على تلك الثياب نواهبا
فبكت لكشف حجابها أو ما ترى عبراتها بين الغصون سواكبا

وقلت في حمرة الشفق

قتل الدجى هذا النهار ودمه تحت التراب مضرجا بدمائه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فخذوا من الشفق الشهادة انه لطخ من الدم نال ذيل ردائه (؟) .

وربما يصاغ التعليل في قالب التشبيه كقول أبي تمام

كأن السحاب الغر فيهن نحنها حبيبا فلا ترقا لهن مدامع

فلو حذفت اداة التشبيه هنا لكان الباقي بمنزلة العلة الخيالية لنزول الغيث المنسجم من ينابيع السحاب، واقترانه باداة التشبيه يجعله بحيث يسكت عنه العقل ولا يمانعه من أن يدخل في سبيل المعاني الصادقة.

ومما نظمت على هذا المثال وكان الجو يقذف وقت السحر بثار من الثلج

تطاول هذا الليل والجو مزبد فضاقت بأمواج الثلوج مسالكه

كأني أذيب الصبح بالحدق التي يقلبها وجدي وتلك سبائكه

وقد يقرر الشاعر معنى ثم يقابله بأمر أوضح منه عند المخاطب دون أن يصرح فيه باداة تشبيه بل تكون مصدرة باداة استفهام كقول مسكين الدارمي

وان ابن عم المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح

أو باداة التوكيد فقط كقول أبي العتاهية

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس

أو تقرن اداة التوكيد بالفاء كقول بشار

فلا تجعل الشورى عليك غضاضة فان الخوافي قوة للقوادم

أو بالفاء وحدها كقول بعضهم

لا تحسبوا أن رقصي بينكم طرب فالطير يرقص مذبوحا من الالم

ولنوجه البحث الى معنى البيت الاول ثم لا يشتبه عليك بعد تحرير الغرض منه ان بقية الابيات جارية بمعنى التمثيل، أو ذاهبة مذهب الاستدلال والتعليل

صدر الدارمي البيت بجعل ابن عم المرء بمكان الجناح له، والشطر الثاني ينفي عن البازي أن ينهض بغير جناح ومعنى الشطرين لا يتم الا بملاحظة جملة معلوية ما بين الصدر والعجز لم يفصح عنها الشاعر لسهولة مأخذها وبعد ملاحظة تلك الجملة يكون مفاد البيت أن ابن عم المرء بمنزلة جناحه فلا يقدر أن يقوم باعباء الحياة او يدرك فيها غاية شريفة الا بمعاضدته كما أن البازي لا ينهض الى الطيران الا اذا ساعده

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جناحه فالقصد تمثيل حاجة الانسان الى ابن عمه عاجة البازي الى جناحه وليس القصد الاستدلال حتى يلتحق ببيت أبي تمام المسوق فيما سلف للاستشهاد على التخييل الذي يراد منه المخادعة وقول الدماميني

فلا تعجبوا يوما لكسر جفونها فان اناء الخمر في الشرع يكسر

فالاسلوب في نفسه وارد في الغرضين غير ان فحوى الكلام ومجرى الخطاب وطبيعة المعنى تصرفك الى التمثيل، أو تأخذ بك الى الاستدلال والتعليل

وقد يعمد الى أمرين يعدهما الناس بشدة التباين وغاية الاختلاف فيعقد بينهما تشابها وتجد هذا في قول المعري

وشبيه صوت النعي اذا قيـ ـس بصوت البشير في كل ناد

أبكت تلكم الحمامة ام غنـ ـت على غصن دوحها المياد

فالمعهود ان النفس ترتاع لصوت النعي وتتفطر حزنا، وترتاح لصوت البشير وتأنس له طربا، ولكن الحكيم يغوص في اعماق الحوادث، وينظر الى ما تصير اليه من العواقب، فيتراءى له ان ليس في الحياة مايدعو الى لذة، او يستثير النفس الى جزع، فتكون نغمة البشير وصيحة الناعي في أذنه سواء، ولا يرى فارقا مابين النواح والحداء (له بقية)

باب الاخبار التاريخية والآراء

تفرق العرب واختلافهم في جزيرتهم

كان لما كتبناه في الجزئين الاخيرين بشأن العرب وجزيرتهم استحسان عظيم عند أولي الرأي والغيرة من قراء المنار ومثله ما كتبناه في المجلد الحادي والعشرين في مسألة الخلاف بين الحجاز ونجد ـ تبين لنا ذلك من حديث من كلمنا في هذه المسألة في سورية اذ كنا فيها عند نشر ذلك ثم من كلمنا في مصر في هذا وذاك

وأكبر مصائب العرب بأئمتهم وأمرائهم انهم قد ازدادوا تفرقا وتعاديا وعدوانا وتقاتلا بقدر اشتداد الحاجة الى الاتفاق والتواد والتعاون فيما بينهم، وقد رأينا في جريدة القبلة المكية التي هي لسان حكومة الحجاز ورأيها مقالا في التعادي والتقاتل بين العرب السعوديين ومن يتصل بهم من عرب نجد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والكويت واليمن وبين عرب عسير الادريسيين وعرب اليمن العليا التابعين للامام يحيى، وهذه الجريدة تلقي تبعة ذلك على الامام ابن سعود وعلى السيد الادريسي اللذين كان بينهما وبين الشريف والملك حسين من التعادي والتقاتل ما كان

نحن عرب نغار على جميع العرب، ومسلمون نفضل بلاد الحجاز على سائر بلاد العرب والعجم ونهتم بأمر حفظها وصيانها فوق اهتمامنا بسائر بلادنا وأوطاننا، وقد حرم الله تعالى مكة على لسان نبيه وخليله ابراهيم والمدينة على لسان خاتم رسله وسيد ولد آدم محمد عليهما وعلى آلهما الصلاة والسلام. فلا يجوز أن يقع في في هذين الحرمين قتل ولا قتال ولا أن يكونا موضعا للمنازعات الحربية ولا السياسية لانها قد تفضي الى الحرب

لما وقع التقاتل بين الحجازيين والنجديين اقترحنا على امامي أقوى الحكومات الاسلامية العربية المجاورة للحرمين التصدي لاصلاح ذات البين ولو بقتال الفئة الباغية حتى تفيء الى أمر الله، ولكن مثل هذا الاقتراح لا يرجى فائدته بالاخلاص الذي يطلبه المسلمون الذين ليس لهم هوى ولا منفعة بنصر احدى الطائفتين على الاخرى، واننا نخشى ان نرى الحرمين في يوم قريب ميدان قتال يتعذر اقامة ركن الحج في أثنائه وتنتهك فيه حرمة بيت الله تعالى وحرمه أو حرم رسوله صلى الله عليه وسلم، فلتلافي ذلك نعرض على أهل الرأي والحصافة والمكانة من المسلمين الاقتراح الآتي

اقتراح لصيانة الحرمين الشريفين من الحرب وعمرانها وأمنهما

القطر الحجازي جزء لا يشاركه فيه قطر آخر من أقطار الدنيا فكل قطر سواه لاهله الامتياز فيه على غيرهم بالحكم والتصرف في حكومته وأرضه ومرافقه ولحكومته أن توالي وتعادي وتحارب وتعاهد من تشاء وتمنع من دخوله عند الحاجة من تشاء، وتأذن فيه لمن تشاء بحسب قوانينها والقانون الدولي العام

واما الحجاز نفسه حرم الله وحرم رسوله اللذين حرم الله فيهما ما لم يحرم في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غيرها كأكل الصيد وترويعه وقطع الشجر وغيره من النبات وشرع فيه من العبادة مما يشرعه في غيره فاوجب على مسلمي جميع الاقطار الحج والعمرة فيه وندب الرسول (ص) شد الرحال الى مسجديه وجعله (أي القطر) خاصاً بالمسلمين كما بدء لا يباح لغيرهم الاقامة فيه كما أوصى صلى الله عليه وسلم في مرض موته. وامتن الله على عباده بجعل جوار بيته حرما آمنا وجعله مثابة للناس وأمنا وقال فيه (ومن دخله كان آمنا) وقال (والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد، ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) وقد ورد في التفسير المأثور عن النبي (ص) والصحابة والتابعين ان خلق الله فيه سواء لا فرق بين المقيم بمكة وغيره ممن يحجه من سائر الاقطار وأنه يجب على أهل مكة أن لا يمنعوا أحدا من الحاج مشاركتهم في سكنى بيوتهم وحرم بعض السلف أخذ الاجرة منهم وكرهها بعض آخر بل رووا في ذلك أحاديث مرفوعة الى النبي (ص) وان رسول الله (ص) توفي وتوفي من بعده أبو بكر وعمر وما كانت رباع مكة تدعى الا السوائب من احتاج سكن ومن استغنى أسكن، وكانوا يهون أن يكون لبيوتها أبواب لئلا يكون منعا من دخولها. وليس هذا الاقتراح بالذي يتسع لنقل الروايات ومذاهب الائمة فيها وربما خصصنا له مقالا بعد

وقد روي عنهم في تفسير الالحاد والظلم في الحرم تشديد عظيم فلم يخصوه بارتكاب ما حرمه الله هنالك مما حرمه في غيره وما لم يحرمه الا فيه بل جعلوا من معناه مضاعفة السيئات وكون الصغيرة في غيره كبيرة فيه حتى شتم الخادم وكذلك الهم بالسيئة والعزم عليها ولو قبل الوصول الى مكة. وفي الحديث «احتكار الطعام بمكة إلحاد» وفي رواية في الحرم بدل مكة وقال ابن عباس: تجارة الأمير بمكة إلحاد

قصر المسلمون فيما يجب عليهم للحجاز فلم يقوموا به حق القيام ولم ينفذوا وصية الرسول الاخيرة فيه وهو المقصود الاهم من وصيته في جزيرة العرب حتى ذهب بعض العلماء انه هو المراد بها خلافا للمتبادر من لفظ الحديث ولا مراء في ان الحاجة الى العناية به في هذا الزمان أشد من كل الازمنة الماضية من وجوه كثيرة ليس هذا محل شرحها فاكثر مسلمي هذا العصر تابعون لحكومات غير اسلامية تهتم بحمايتهم وشؤونهم في سفرهم الى الحجاز فاذا وقع فيه قتال فانها تمنعهم من اداء فريضة الحج في أثنائه وإذا كان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لحكومة الحجاز مالسائر الحكومات من حق قطع العلاقات الودية واعلان الحرب على أي دولة يقع بينها وبينها ما يقتضي ذلك فان هذا يبيح للدولة المحاربة لها الهجوم على الحرمين والاستيلاء عليهما أو حصرهما ومنع الاقوات وغيرها عنهما كما أنه تديد هو الدول الاجنبية الى منع رعاياها المسلمين من السفر اليه للحج ولا سيما اذا كانت معادية، وكل هذا يأتي في مصلحة المسلمين العامة وليس فيه منفعة دينية ولا دنيوية ترجح على المفاسد الكثيرة التي اكتفينا بالاشارة اليها عن شرحها وتفصيل القول فيها

وانما المصلحة الاسلامية العامة أن يكون الحرمان الشريفان وما جاورهما من البلاد قطراً حرا مسالما لجميع الامم والدول ليكون مصونا من الاعتداء عليه وانتهاك حرمته ويكون ركن الحج من أركان الاسلام قائما أبدا — بل ليتحقق وانما جعل الله تعالى اياه حرما آمنا وكون من دخله آمنا وكونه لجميع المسلمين سواء العاكف فيه والبادي لا تعدي فيه ولا إلحاد

فنقترح على أهل الغيرة الاسلامية من مسلمي الحجاز وسائر الاقطار أن يسعوا الى هذه المصلحة سعيها وهي تتوقف فيما نرى على وضع نظام لحكومة الحجاز يبنى أساسه على جعل الحجاز قطرا مسالما على الحياد لا تكون حكومته خصما ولا عدوا لدولة من الدول ولا حكومة من الحكومات فلا تعتدي ولا يعتدى عليها ولا تخاف ولا يخاف منها، وان تسمى هذه الحكومة بمساعدة أهل النفوذ من مسلمي جميع الاقطار الى جعل جميع الحكومات المجاورة لها وسائر الحكومات التي لها رعايا مسلمون يركبون متون البحار ويشدون الرحال الى الحرمين الشريفين للنسك والعبادة فيهما . ونظن أن جميع الدول تجيب الى هذا ولا تعارض فيه

نعرض هذا الاقتراح مجملا على العالم الاسلامي وفي مقدمته حكومة الحجاز وأشراف الحرمين وعلمائه لبيان الآراء التفصيلية فيه بنشرها في الصحف الدورية والمنار مستعد لنشر ما يأتيه فيه . وان كان لابد من التذكير ببعض التفصيل فيه فليكن اقتراح انشاء محكمة اسلامية بمكة يكون لكل قطر اسلامي حق تمثيله فيها بعضو من علماء الشرع المنتسبين لى المذاهب الاسلامية التي يستقبل المتبعون لها هذا البيت في صلاتهم ويحكمونه لاجل محاكمة من يعتدي في تلك البلاد على مال

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غيره أو بدنه أو عرضه أو شرفه ومنه الطعن في المذاهب فان ضمان حرية كل منتم الى مذهب من مذاهب المسلمين في تلك البلاد التي لهم حق ادراك النسك فيها يستلزم ان لا يطعن أحد منهم في مذهب الآخر وهو من أكبر الالحاد في الحرم.

بل اذا قيل انه ينبغي أن يكون لجميع الشعوب الاسلامية حق المشاركة في تأمين هذا القطر المقدس وحمايته ومراقبة اقامة الشعائر فيه مع منع الظلم كما ان عليهم ان يتعاونوا على كفاية أهله الحاجة واغناء أعرابه عن التعدي وعلى نشر الدين والعلم فيهم وجعل المسجدين الاشرفين مثابة للناس في العلم وفي العبادة جميعا — اذا قيل هذا كله — رجونا ان يتقبله جميع المؤمنين الصادقين بقبول حسن و يتكاتفوا على القيام به حق القيام.

لعل الملك حسينا يقبل هذا الاقتراح و يبادر الى تنفيذه برأي كبار الشرفاء والعلماء في مكة المكرمة بأن يضموا له مشروع النظام و ينشر في جريدة القبلة وترسل منه نسخ الى المدن الاسلامية الكبرى في الشرق والغرب والجنوب والشمال لأخذ رأي أهل العلم والخبرة فيه و يضرب موسم الحج القابل موعدا لتنفيذه بعد جمع الآراء وتمحيصها فيه بعرضها على لجنة تؤلف من خيار حجاج هذه الاقطار علما ورأيا وحينئذ يكون سعي هؤلاء المسلمين لموافقة الحكومات على حياده وأمنه مع النجاح في أقرب وقت

راننا نرى ان هذا المشروع اذا تم يسهل ما اقترحناه في الجزء الذي قبل هذا من إنشاء مجلس تحكيم لما يقع من الخلاف بين امراء العرب اذا رفقوا العقد الاتفاق الذي يتحفاه لهم كل عربي بل كل مسلم يفقه الاسلام و يغار على مصالح أهله: بان يكون هذا المجلس في مكة المكرمة بل يترتب عليه تعاون جميع المسلمين على عمران الحجاز وتسهيل طرقه وتكثير موارده ونمو بين أهله ونشر العلم فيه وغير ذلك من المصالح والمنافع، والله الموفق

(كلمة للصحف الاسلامية)

نرجو من حرفائنا الكرام أصحاب الصحف الاسلامية في جميع الأقطار أن يبينوا رأيهم في هذا الاقتراح ويحثوا قراءهم على القيام بما يرونه فيه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وثائق تاريخية، في المسألة العربية

لشرنا في مجلدات المنار — ١٩ — ٢١ عدة وثائق وحوادث يصح ان يرجع اليها في تاريخ ما يسمى المسالة العربية . وسننشر في هذا المجلد وثائق أخرى من رسمية حقيقة أو حكما وغير رسمية ما يعتمد في ذلك ونذكرها بالعدد

١

كتاب من ملك الحجاز الى نائب ملك الانكليز بمصر

هذا الكتاب نشر في العدد ٢٩١ من جريدة (القبلة) الذي صدر بمكة المكرمة في ٢٣ رمضان سنة ١٣٣٨ الموافق ١٠ يونيو سنة ١٩٢٠ بعد مقدمة وجيزة ويليه تعليق عليه في الافتخار به من قبل الجريدة ونحن ننقله عن هذا العدد وان نشر بعده مرة أخرى — وهذا نص ما جاء فيه تحت عنوان (الاسى والحزن)

«اذا تأملنا ما هو واقع في ساحل البلاد على البحر المتوسط وشماليه مما تنقله الصحف وترويه البرقيات من الحوادث والبواعث نجد أن قولنا (الاسى والحزن) لا يفي من تعبير تلك الحالة . وليس لنا ما نقوله عنها الا : ينتقم الله من أنور وطلعت واخوانهم ومن نحا نحوهم وآلهم وشيعتهم — لنا ولكل سكان الدولة التركية من سلطانها الى راعي غنمها بما جروه على تركيا بانقلابها في هاربتهم الخاسرة التي لا يعلم شأن نتيجتها والتي تنقل لنا تفاصيلها صحف العالم بأسره مما يجعلنا في دهشة وسكون — أن لا نتكلم أو نبحث عما كانت ترمينا به سهام الاغراض على اختلاف نزعاتها مما يجعلنا أن نقول (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله)

ولحسن الحظ منعنا بالوقوف على صورة تحرير من مولانا المنقذ [1] بتاريخ ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٦ نفسر لدينا ما له شبها مما نجده عن حالة البلاد العربية وما يقال عن قيامها وخروجها عن الممالك (الانورية) والجنايات (العلمية) !! وهذه صورة الكتاب

﴿صورة تحريرنا الفخامة نائب الملك بمصر بتاريخ ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٣٦﴾

ما رأيته خصوصا بهذا الاثناء من اهتمام فخامتكم وتأكيداتها في ازالة أسباب

(١) [illegible]

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

دراهي سوء التفاهم الذي لا أرتاب بان المقصود بذلك الاعتناء هو صيانة تأثر حسيات مخلصكم خاصة . لذا ولما تكونه للمواد البسيطة أيضا من ذلك المعنى رأيت أن أتبين من حكومة جلالة الملك في الاساس المقرر مع عظمتها في النهضة وما بنيت عليه من مواد الانفاق المقدم بطيه بيانها بأني ماطلبت للبلاد أمام حكومة جلالة الملك ماطلبته من المواد التي تعهدت عظمتها بها رغبة مني في تأسيس حكومة أو تشكيل دولة لا ستأثر بحاكميتها أو حرصا على جاهها أو رياستها لكن عند ماد هتني بريطانيا الى ماد هتني اليه وعلمت أن مقاصدها بهذا أيضا تأمين مصلحة المسلمين عامة والعرب خاصة لم يسعني الا الاجابة وطلبي أقله تلك المواد المؤدية في اعتقادي لما يأتي :

أولا : لحفاظة الكيان للعالم الاسلامي بالنظر لما حل وما سيحل بتركيا

ثانيا : صيانة العظمة البريطانية من الاستهداف مما سترمى به عكس مقاصدها

ثالثا : سلامتي من الاتهام بالتواطئ معها ضد الاساس المقصود بالنهضة

نعم اني لم أجد من جناب الفاضل الاديب المستر « استودمن » عند اجتماعي بحضرته في السنة الاولى بجدة ثم بعده بحضرة الشهم الهمام السير « مارك سايكس » ثم في السنة الماضية بالقومندان الهمام « هوغورت » المرقر ـ ما يشير الى ما يخالف أو يخل بتلك المقررات غير أن ما في طبيعة مشروعنا وتتمته الحياتية من الرقة وما يتصادف من بعض حالات يستدعي سياقها زيادة تعيين الامر وتأكدا لحقيقة عن الحدود فقط والا باقي المواد فانا لنعجز عن أداء شكر الوفاء بها شكرا يملأ الخافقين خصوصا أمر الاعانات عما لو فهمت الغلط في مقرراتنا المذكورة أساسا أو حدث ما يوجب تعديلها الامر الذي لا أقول أنه يمس كيان العالم الاسلامي ولكني أظن وبعض الظن اثم أنه لا يخلو من شيء من ذلك . هذا على فكري الخصوصي فتى أضفنا عليه تظاهر عجزي بعدم حصول ما كان يؤمل من النتائج يتحتم علي الانسحاب من الامر والتنازل عنه لاعتقادي الشخصي أن تعديل مقرراتنا المذكورة بصرف النظر عما في اخلاله بالغايات المقصودة الاساسية وعرضتنا لخذر موادنا الثلاثة آنفة البيان ولمس صحيفة تاريخي فهو يزيل ويسقطني من ثقة واعتماد بلادي وأقوامي الاقربين حينما يظهر لهم عكس تلك المقررات التي أعلنتها لهم وصرحت بها شفاها وتحريرا في ظرف هذه المدة وأسست عليه الاعمال

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأكون خدعت نفسي وغششتكم ياأصدقائي بما وراء هذا من اضطراب البلاد بالفتن والثورات ونحوها مما لايمكن لي معه حتى الاستفادة لذاتي وما يزيل حسن ظن حكومة جلالة الملك بي وأكيد اخلاصي يجبرني أن أقول من الآن ان مبادي هذه الخطرية على وشك التحسس بها بالنسبة للطلبات المتكررة المختلفة عن أمرهم باعلان استقلال بلادهم ، ولم أجد ما أدفعهم به الا قولي ان استقلالي هو استقلال عموم أنحاء البلاد ولكنهم يقيموا الحجة على دفعي هذا بأوجه أخر. وعليه فان كان ولابد من التعديل فلالي سوى الاعتزال والانسحاب ولا أشتبه في مجد بريطانيا أن يتلقى هذا منا الا أنه أمر يتعلق بالحياة لالقصد غرضي ولا لفكر غرضي ، وانما لا ترتاب في أني وأولادي اصدقاؤها الذين لاتغيرهم الطوارئ والاهواء. ثم تعينوا البلاد التي تستحسن اقامتنا فيها بالسفر اليها في أول فرصة. وان رأت ذلك ولكن مشاكل الحرب الحاضرة تقتضي بتأجيله الى ختامها لحقوق الوفاء والجميل يفرض علينا الثبات أمام ماسيتضاعف علينا من التهمات ونحوه من العموم مما لا مقاومة لدينا أمامها الا حسن النية فالامر اليها . أما عطف الامر وتعليقه بمؤتمر الصلح فالجواب عليه من الآن بأن لاعلاقة لنا به ولا مناسبة بيننا واياه حتى ننتظر منه سلباً أو ايجاباً ولو قرر المؤتمر المذكور أضعاف مقرراتنا وكان ذلك عن غير وساطتكم وقبلناها فنكن من المطرودين من رحمة الباري جل شأنه الرقيب على قولي هذا الذي أتوسل اليه بكل آلائه أن يتولانا جميعاً بعنايات رأفته الاحدية، وقبول ما أقدمه لمقامكم في الختام من جزيل احتشاماتي هو من سجايا شيمكم» انتهى

(القبلة) بالطبع انا لا ندري ماكان من الرد على هذا التحرير السامي ولا عن مواد الاتفاق ولكنا ندري أنه بادني تأمل بسيط يتضح أن هذا التحرير لم يدع نقطة مادية أو معنوية تتعلق أساساً بأساس (النهضة) وسائر محتوياتها وما بنيت عليه في ذاتها ومايتعلق بالعالم سواء في الماضي أو الحال أو الاستقبال . لا . بل بالاختصار نقول انه أحصى ذرات كل مايتعلق بها بسائر الاوجه !

فماذا عسى أن يقول القائلون في هذا التنبأ السياسي ونزاهة الضمير عن الذاتيات والشخصيات في كل مايتعلق بنفس (النهضة) أو بالعالم

وكيف لانقول بهذا التنبأ في التحرير العالي وهو صادر منذ سنتين تقريباً؟ يتأمل المتأملون ، وفي هذا فليتنافس المتنافسون ؛ ولمثله فليعمل العاملون

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نعم كيف لا نقول ذلك ونحن نرى الامم الاخرى تتباهى بالجزئية مما احتواه تحرير مولاه المنقذ ؟

فلا عجب على «القبلة» أن تقول: (لمثل هذا فليعمل العاملون)

ومتى كانت الأعمال على مثل هذا الاساس فلا علينا من الوسواس والخناس من الجنة والناس اه تعليق جريدة القبلة» اه

(المنار) نشرنا كل ما تقدم بحروفه ، ومتى عادت حرية النشر الى ما كانت عليه نقول في هذه الوثيقة التاريخية وأمثالها كلمتنا التي نظن أنها لا تخطر لاحد من محرري جريدة القبلة على بال

٢—٣—٤

حديث الامير فيصل — رواية حكومة مكة عن معاهدتها مع انكلترة — رواية الوزارة البريطانية فيها

جرى حديث للامير فيصل مع صاحب جريدة المفيد الدمشقية في الشام يتضمن ذكر بعض الوثائق الرسمية بين والده ملك الحجاز وبريطانية العظمى نشرته هذه الجريدة في عددها الذي صدر بدمشق في ٢٦ جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ (الموافق ١٥ شباط (فبراير) سنة ١٩٢٠) بعنوان (حديث سياسي مع سمو الامير فيصل. وثائق رسمية لم تنشر حتى الآن) وهذا نصه :

(مقدمة جريدة المفيد)

لا ريب في ان كل عربي تهمه مصلحة البلاد العامة يتطاول الى الوقوف على سير السياسة العربية ويود معرفة ما قام به سمو الامير فيصل وما هو موقف سموه تجاه السياسة الاوربية وجلالة والده الملك المعظم والامة العربية جمعاء والسوريين خاصة .

وقد تشرف أحد صاحبي هذه الجريدة يوسف بك حيدر بمقابلة سموه فجرى بينهما حديث تضمن من الوثائق السياسية مالا مندوحة من نشره واحاطة القراء بدقيقه وجليله والى القراء ما دار بينهما .

ابتدأ أحد صاحبي الجريدة فقال للامير : رأينا ياصاحب السمو في العدد المؤرخ بثامن جمادى الاولى ١٣٣٨ من جريدة القبلة الصادرة في مكة المكرمة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اعلانا رسميا يقول به والدكم صاحب الجلالة الهاشمية ان لديه معاهدات من الخلفاء الكرام تقضي باستقلال البلاد العربية جميعها وان جلالته ينشرها للملأ عند الحاجة فهل لسموكم ان توضحوا لنا ما هي هذه المعاهدات وما تحوي ؟

سمو الامير — ان المعاهدات التي يذكرها صاحب الجلالة ما رأيتها وقد طلبت منه مرارا ان يجعلها سلاحا لي اذا كانت موجودة ولا أعلم ماسبب تاخيره ارسالها لي واكتفاء جلالته بارسال صورة اتفاقية يقول انها نسخة من تلك المعاهدة وها أنا اعطيك تلك الصورة ويمكنك نشرها ـ وهذا نصها بحروفها :

صورة ما تقرر مع بريطانيا العظمى
بشأن النهضة ٥)

(١) — تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها وتكون حدودها شرقاً من بحر فارس ومن الغرب بحر القلزم والحدود المصرية والبحر الابيض وشمالا ولاية حلب والموصل الشمالية الى نهر الفرات وتجتمعه مع الدجلة الى مصبها في بحر فارس ما عدا مستعمرة عدن فانها خارجة عن هذه الحدود وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود بأنها تحل محلها في رعاية وصيانة تلك الحقوق وتلك الاتفاقيات مع أربابها أميراً كان أو من الافراد .

(٢) — تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخليتها وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعد بأي شكل يكون حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الاعداء أو من حسد بعض الامراء فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام لحين اندفاعه وهذه المساعدة في القيامات أو الثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي لحين يتم للحكومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية .

(٣) — تكون البصرة تحت اشغال العظمة البريطانية لحينما يتم للحكومة الحديثة المذكورة تشكيلاتها المادية ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من النقود يراعى فيه حالة احتياج الحكومة العربية التي هي حكمها قاصرة في حضن

٥) تعبر حكومة الحجاز عن ثورته وما ترتب عليها بالنهضة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بريطانيا وتلك المبالغ تكون في مقابلة ذلك الاشغال .

(٤) — تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ماتحتاجه رعيتها الحكومة العربية من الاسلحة ومهماتها والذخائر والنقود مدة الحرب .

(٥) — تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من مرسين أو ماهو مناسب من النقاط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استعدادها لها .

قال سمو الامير : ولكني مع الاسف حينما كنت في لوندرة قدمت هذه الصورة الى رئاسة الوزارة فأنكرت وجودها كل الانكار وقالت بأنه لايوجد عهد ولا كتاب كعهد ينطق بمثل هذا التصريح ولكن لدينا رسائل أهمها شأنا رسالة من السر هنري مكماهون وهذا نصها بحروفها :

كتاب السر هنري مكماهون الى جلالة الملك المعظم بمكة

في ٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٥

« لما كانت مقاطعات مرسين والاسكندرونة وبعض أجزاء سورية الواقعة الى الغرب من مقاطعات دمشق وحمص وحماه وحلب لايمكن تسميتها عربية محضة فانه يقتضي اخراجها من الحدود التي بينتموها — وانه يقتضى هنا التعديل ومن غير اخلال بمعاهداتنا السابقة مع بعض زعماء العرب نقبل الحدود على ما ذكرتموه

«ثم بخصوص الاراضي التي لبريطانيا العظمى حرية العمل فيها من غير اضرار بمصالح حليفتها « فرنسا » فان لي السلطة باسم بريطانيا العظمى أن أعطي التأكيدات الآتية وأجيب عن كتابكم بما يأتي : —

ان بريطانيا العظمى مستعدة بعد التعديلات المذكورة آنفا: ان تعترف باستقلال العرب والاخذ بناصرهم وذلك ضمن الحدود التي قدمها شريف مكة .

« أما ولاية بغداد وولاية البصرة فعلى العرب ان يسلموا ان مركز بريطانيا العظمى ومصالحها تقتضي اتخاذ تدابير خاصة لادارتهما وحمايتهما من كل اعتداء أجنبي ولارتقاء أهاليهما والمحافظة على مصالحنا المشتركة فيهما (انتهى)

قال سمو الامير : عندئذ كررت طلب تلك المعاهدة من مكة المكرمة ولكنها ويالاسف لم ترد علي حتى الآن. فلهذا لايمكنني أن أقول بأن الثورة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخارجية البريطانية مخالفة للحقيقة باقوالها ولا أقول أن حكومة مكة تقول غير الواقع . فاذا كان لدى حكومة مكة المكرمة عهد كهذا فتأخير ابرازه في هذا الوقت الذي وضعت به مسألة العرب على بساط البحث وقد أوشك المؤتمر أن يبت بشأنها مضر جدا لان هذه المعاهدة لم تعقد الا لتبرز في مثل هذا اليوم العصيب ويعمل بموجبها وقد الححت في المدة الاخيرة على جلالة والدي بارسالها وأظنها ستصلني عما قريب فاذا وصلت سيكون لي موقف في النوادي السياسية غير موقفي الحاضر

سؤال : هل دفاعكم في مؤتمر السلم سيكون خاصاً في شؤون سورية أم يتناول المسألة العربية كلها (١)

جواب : ان صفتي في مؤتمر السلام هو تمثيل والدي وحكومته الذي قام مدافعاً عن حقوق العرب باجمعها فاذا تخليت عن جانب من بلاد العرب المحررة من الاتراك أكون قد قصرت بواجبي السياسي وأخللت بما أودع الي من الوظائف فلذا يتحتم علي أن أضع المسألة العربية برمتها موضع البحث وأدافع عنها باسم جلالة الملك .

سؤال : في كتاب السر مكماهون الذي تقدم الكلام عنه ما يتعلق بفلسطين وبغداد والبصرة فما رأي سموكم فيما ينطوي عليه وهل صرحت لكم الحكومة البريطانية بشيء بعده

جواب : اذا وجد ذلك العهد الذي أعلن جلالة والدي وجوده فانني الحكومة البريطانية ستكون مضطرة الى تشكيل الوحدة العربية والاعتراف بالاستقلال العربي . وأما اذا لم يوجد فحكومة انكلترا ملزمة بمقتضى عهدها الوارد في كتاب السر مكماهون أن تؤلف حكومة في العراق تكفل مصالح العرب والبريطانيين معاً وأن تعترف بأن فلسطين والموصل عربيتان داخلتان في ضمن الحكومة السورية . والصداقة التي بيننا وبين الحكومة البريطانية تجعلني اواصل البحث فيما هو واجب على انكلترا أجراؤه في الممالك والبلدان التي هي الآن تحت أشغالها العسكرية . وأملي عظيم بانها ستقوم بعهودها

سؤال : هل تفكرون برفض ما تدعيه الحكومتان الفرنسوية والانكليزية

(١) سبب هذا السؤال أن الامير كان عازما على العودة الى أوربة لحضور مؤتمر السلام وهو الذي [illegible] الاستيلاء عليها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من الحقوق في أقسام البلاد العربية سواء كان في سورية أو العراق أو غيرها وما هي خطة سموكم في هذا الامر ؟

جواب : انني لا أتصور أن أقابل جميل هاتين الحكومتين بمعاملة غير لائقة، وأنا أعلم بان لهما منافع أدبية واقتصادية يجب احترامها ولكني في الوقت نفسه أؤمل أن تنظر الينا هاتان الحكومتان بنظر الاحترام والى حقوقنا بنظر الانصاف والعدل. وان لا تطالبانا بما يخل باستقلالنا ورقينا المادي والمعنوي وان لا تجبرانا على اتباع تقاليدهما على العمياء بل نأخذ منهما ما طاب من مدنيتهما الحديثة ونترك ما هو مخالف لمدنيتنا وعنصرياتنا التاريخية .

سؤال : نشرنا في المفيد برقية منقولة عن جريدة الاهرام المصرية واردة من جلالة الملك يحدد بها دائرة توكيل سموكم فما ترون فيها ؟

جواب : ان الوكيل يدافع في قضيته على قدر قوة ما بيده من الحجج فاذا كانت مستنداته قوية وكان الحاكم عادلا فلا شك بأن الوكيل اذا خسر القضية يكون مسؤولا ـ وأنا في هذه الحالة لا فرق بيني وبين وكلاء الدعاوي امام المحاكم فدافعتي تكون على قدر قوتي المادية والمعنوية، وعلى كل فانني أؤمل من رجال الحكومات والامم المتمدنة ان تنظر الينا بعين الحب ولا تهضم لنا حقا كيما نتمكن من خدمة المدنية الحاضرة كما خدم أجدادنا المدنية الغابرة

سؤال : كنا قرأنا في جريدة الشرق التي كانت تصدر في دمشق ابان الحرب نص معاهدة تسمى « معاهدة سايكس بيكو » نشرها جمال باشا زاعما ان البلشفيك ظفروا بها بين الاوراق الرسمية في بتروغراد عند ما استولوا عليها ثم انقطعت أخبار هذه المعاهدة حتى عادت صحف أوربا منذ بضعة أشهر تردد صداها وقيل ان جلاء الجنود الانكليزية عن سورية منذ مدة كان تنفيذا لنص تلك المعاهدة فهل ذلك حقيقي وهل سمعتم سموكم بها في الاماكن الرسمية أو اطلعتم عليها في أثناء الحرب أو بعدها ؟

جواب : حينما نشر جمال باشا تلك المعاهدة أثناء الحرب اطلع عليها والدي في العدد ١٠١ من جريدة المستقبل فسأل جلالته الحكومة البريطانية بواسطة ممثله بمصر عن تلك المعاهدة فأجابته الحكومة الانكليزية بكتاب هذا نصه :

« ان البلشفيك لم يجدوا في وزارة الخارجية في بتروغراد معاهدة معقودة بل محاورات ومحادثات موقتة بين انكلترا وفرنسا وروسيا في أوائل الحرب لمنع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المصاعب بين الدول أثناء مواصلة القتال ضد الترك وذلك قبل النهضة العربية وان جمال باشا اما من الجهل اوالخبث غير في مقصدها الاسامي وأهمل شروطها القاضية بضرورة رضى الاهالي وحماية مصالحهم وقد تجاهل ماوقع بعد ذلك من أن قيام الحركة ونجاحها الباهر وانسحاب روسيا قد أوجد حالة أخرى تختلف عما كانت عليه بالكلية منذ أمد مضى » .

قال سمو الامير : فيظهر لكم من هذا الجواب ان تلك المعاهدة لم تكن معترفاً بها اعترافاً رسميا لدى والدي والعرب واذا فرض وجودها فانهم قد انكروها بتاتاً بحيث أصبحت كانها لم تكن وتصريحات الحكومات بالغاء جميع المعاهدات السرية تجعلنا لانعترف بتلك المعاهدة . اه

(المنار) هذا ماصرح به الامير فيصل في دمشق قبل نصبه ملكا على سورية فيها بزهاء ثلاثة أسابيع فهو الى ذلك الوقت لم يكن مطلعاً على شيء غير ماذكر فيه ممادار بين والده وبريطانية العظمى من الاتفاق الذي حمله على الخروج على الدولة العثمانية ومحاربتها مع الحلفاء وكان هو القائد لجيش والده في هذه الحرب بل كان صرح لي قبل التصريح لصاحب جريدة المفيد بأنه لم يطلع على شيء قط وانه حارب بأمر والده اعتمادا على ان بيده شيئا وظاهر ان كلا من الروايتين مباين لمصلحة العرب ومناف لحريتهم واستقلالهم فان تشكيل بريطانية العظمى لحكومة عربية تدخل فيها الحجاز بالشروط المذكورة التي منها حفظها وصيانتها في داخليتها وخارجيتها يجعلها حكومة تابعة للامبراطورية الانكليزية ويخول لجيوش هذه الامبراطورية أن تقيم حيث شاءت منها بحجة منع الثورات والفتن الداخلية دع احاطتها بها بحراً وبراً كما هو معروف

واننا كنا قد اطلعنا على النص العربي للمعاهدة المشار اليها في هذه الوثائق وهي بين السر هنري مكماهون بالنيابة عن حكومته وبين شريف مكة وأميرها سنة ١٩١٥ وقد رأينا أن كلا من الروايتين الحجازية والانجليزية اللتين صرح بهما الامير فيصل قد ذكرت بعض ماجاء في تلك المعاهدة بالمعنى على مانتذكر كله وقد نشر ملخصها أيضاً في مقال للكولونيل الانكليزي لورانس مستشار فيصل في أثناء الحرب وبعدها